

# ليست كالروايات

رواية

حسان بن محمد الأمين الشنقيطي

# ليست كالروايات

حسان بن محمد الأمين الشنقيطي

رواية

الكتاب: ليست كالروايات

تأليف: حسان بن محمد الأمين الشنقيطي

تدقيق: حسان بن محمد الأمين الشنقيطي

النوعية: رواية

الإصدار: 2024

تصميم وتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

[support@kotobati.com](mailto:support@kotobati.com)

[www.kotobati.com](http://www.kotobati.com)

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن الناشر تبقى افكار المؤلف ومكتبة كتوباتي لا

تتحمل مسؤوليتها

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

## المقدمة

تقدم ... فالمقدمة لا يقرأها أحد

بين الحاضر والمستقبل، نشأت في أسرة فقيرة، تحت غروب الشمس وإشراق النهار. يسدل الليل رداءه على منزلهم المبني من الخشب، تحت سقف يعمه الهدوء، وكأنه يحتضن في طياته الرضا وسكون الكون كله.

أعيشُ مع جدي الذي يبلغ من العمر ثمانين عامًا. كانت الأيام تمر بسعادة نسبية، لكنها ترك أثرًا في قلبي، فأذهب إلى بحيرة لأستنشق الهواء النقي. توجد غابة ليست بعيدة عني، وعندما أذهب إلى تلك البحيرة، أسمع أصوات بكاء. فأستعيد بالله من الشيطان الرجيم وأقرأ بعض القرآن لأهدأ نفسي وأتجاوز ذلك، ثم أعود لجدي العزيز لأصلي معه صلاة العشاء. أحيانًا أجد جدي قد صلى العشاء وأحيانًا ينتظرنني، فأفكر في إخباره بتلك الأصوات التي أسمعها في الغابة، ولكنني أتردد وأسكت، وأدع الأيام تمضي كما تشاء.

في الليلة الثانية، شعرت بضيق شديد في صدري، حتى أصبحت أشعر بالاختناق. خرجت للتنفس، إلى المكان الذي اعتادت الروح الخروج إليه. جلست على جذع الشجرة، فجاء صوت الذي كنت قد سمعته من قبل، لكن هذه المرة كان الأمر أكثر شدة. قلت في نفسي: "ما هذه الأصوات؟ أصوات إنسانية أم حيوانية؟" فأوقرنني الخوف وتجشأ جدي. تحوّلت الأجواء إلى برودة وتحركت الرياح

وتحرّكت أوراق الأشجار في الليل، واكتسى الجو بالظلام. كانت تلك اللحظة تلمح إلى الساعة الواحدة من الليل، حيث يسود الهدوء وسكون العيون واستعدادها لاستقبال الفجر الجديد.

ظللتُ في تلك المكان، أسري بنفسي بعيداً عن ظلمة المنزل وأخفف عن نفسي ما يُثقل قلبي. أعيد الأيام والليالي وفقد أحبتي، فأجهش بالبكاء ، استيقظت في اليوم التالي وكان الوقت يشير إلى الساعة السابعة صباحاً. كان الجو بارداً وممطراً، فقررت الخروج للتجول. لقد مضى وقت طويل لم خرج فيه في النهار، فكنت متشوقاً لمقابلة أحدٍ مألوفٍ لمشاركة وحدتي. خرجت وتجولت أمام المنزل، وكنت أفكر في جمع بعض أوراق الأشجار لأستخدمها، ولا تسألني عن الغرض من ذلك.

ثم تذكرت الغابة وقررت الذهاب إليها. اتجهت نحوها بخطواتٍ تتردد فيهما الخوف. وصلت أخيراً إلى تلك المنطقة، وكانت مخيفة بسبب ظلامها الكثيف وغموضها و الطيور تحلق فوقها، كأنها تحذرنني من القادم إليها، لاحظت شيئاً يلمع، وسمعت صوت صفير. حاولت التركيز عليه، وبينما أنظر، رأيت عيوناً حمراء تنظر إليّ، وكانت مخيفة بسبب لونها الداكن وظاهرة الدماء التي تبدو وكأنها تنزف منها. وكان الوجه يبتسم، مما زاد من رعيي.

شعرت بالرعب يتسلل إلى كل جزء من جسد ابتعدت عنه هاربا دون أن ألتفت إلا خلف حتي وصلت إلا عتبة البيت وأنفاس لا تكاد تخرج تقلبت علي سيرلعلي ارمغ من النوم ولو الحظة حتي طلع الفجر دون أن يغمض لي جفن خرجت إلا جدي بعد أن طلب من ذهاب معه المنتزه قليلا

كنا كريحانة نمشي على الأرض وكانت تغمرني السعادة وأقول الحمد لله الذي ترك لي جدي الحمد لله دائما وأبداً.

- معترز: أترى ذلك الجبل؟

- نعم، أراه.

- أتستطيع صعوده؟

- نعم، كأنه ناطح للغيوم. ألا تخبرني عن الغابة التي تقرمها؟

- بعد سكوت طويل، ستعرف مع الأيام كل شيء يأتي في وقته.

- وما هو الذي سأعرف؟

- أنصحك فقط أن لا تقترب منها.

- عدنا إلى البيت بعد أن أخذنا من الدنيا مرتعاً من المشي، وكان التعب يسلك عليّ مسلماً. استيقظت على صوت ينادي وكأنه يختنق. أتى في خاطري صوت جدي، فقمتم على فزع من الخوف. "ما بك؟"

- "أرى أنني مريض. ألا تحضر لي بعض دواء؟"

- كنت خائفاً ولا أعرف حتى أي دواء أحضرومن أين أحضره، فذهبت أبحث عن أحد لعلني أجد منه فرجاً، قطعت قطعة من الأرض مالم أقطعها من قبل. حتى رأيت بيتاً بعيداً يرى من ري العين. هرولت إليه مسرعاً حتى وصلت عند عتبة البيت. ناديت: "لعل أحداً يجيبي!"

دخلت لأجد رجلاً عجوزاً، وكانت علامات الرضا تتجلى على وجهه، بينما كان مظهره لائقاً بالنظر إليه على النقيض من منزله.

- "ما بك يا ولدي؟"

- "أريد دواءً الجدي مريض والنفس تضيق بي والدموع تكاد تنزل من عيني."

- "هون على نفسك ستجد دواءً يسر خاطرك أين هو بيتكم؟"

- "يبعد مسافة من هنا؛ جنب الغابة الحصباء."

- "الغابة الحصباء؟"

- "نعم، وكأن وجهه أحمر من الخوف من أبصره يظن أنه قد بشر بالنار بالمناسبة، ما هو اسمك؟"

- "جلال. أسي جلال. وأنت؟"

- "معتز. هو اسي."

- "تشرفت بك يا معتز."

- "وأنا كذلك." وصلنا إلى البيت وكنت مسرعًا خوفًا من أن تكون حالته قد اشتدت

• فلما دخل جلال على جدي، بدأ كلُّ منهما ينظر إلى الآخر وكأنهما يعرفان بعضهما.

• أتعرفان بعضكما؟

• لم يجيبا، ألححت بسؤالٍ مرة ثانية، فالتفتت إلي الأنظار وكأنني قد اقتربت جرمًا.

• سأعطي لجذك بعض دواء قد يساعده في الشفاء إن شاء الله

• جدي، أتعرف هذا الرجل؟ فأجابني بنظرات كأنها تخفي خلفها قصة.

• قلت في نفسي وقد بدا علي الحزن: أظن أنه يخفي عني قصة بعدها قصص. أعطيته الدواء وانتظرت حتى عرفت أنه قد تحسن. ذهبت إلى غرفتي بعد يوم كان مليئًا بالأحداث والأسرار. حاولت أن أنام لكن ذلك كان من المستحيل. خرجت وجلست أمام المنزل لعل النعاس يزورني. ذهبت إلى تلك البحيرة الموجود على زاوية الغابة، وكانت أصوات البكاء فيها. حاولت الاقتراب منها لأنظر، فكان شيء وكأنه يشدني إليها. فصرخ علي صوت وكأنه يتكلم بلغة ليست مفهومة. أردت أن أرجع لكن لم أستطع، كأن شيئًا يسحبني إليها، وكأن أصوات البكاء تحولت إلى الضحك، وكأن وراءها ضحك أطفال. حاولت أن أركز فيها لكن من شدة الظلام لم أرسو تلك العيون الحمراء التي رأيتها في أول اليوم، وكانت كأنها تقترب مني وتضحك، وأحيانًا تبكي. أردت الهروب لكن لا يزال شيء يسحبني

بشدة، وكلما نظرت إلى تلك العيون الحمراء أريد الهرب ازداد ضحكها. فقلت: كيف أخلص نفسي مما أوقعها فيه؟ سمعت صوتاً خلفي وكان خشناً يتمتم بكلام لم أفهمه، فسحبني شيء حتى خرجت مما أنا فيه، فحمدت الله وأصبحت أغلب بصري أبحث عن الصوت لكن لم أر شيئاً. إن الأيام لتخفي عن أمراً ليس باليسير. ركضت مهرولاً من حيث أتيت، وكانت هذه المرة ليست إلى البحيرة ولا إلى البيت، بل كانت صوب جدي الذي سمعت صوته يناديني من بعيد:

• أين كنت يا هذا؟ ألم أنك عن تلك الغابة؟

• حاولت أن أغير الموضوع: يا جدي، لماذا قمت من فراشك وأنت على هذه الحالة؟

• لا تغير ما سألتك عنه، فأنت لا تهتم بحالتي، ولو كنت تهتم لما تركتني وذهبت إلى ما كنت أنهارك عنه.

• بدأت الكلمات لا تجد مخرجاً، فاستسلمت للصمت.

• لماذا أحضرت إلي ذلك الرجل؟

• أي رجل؟ أه تقصد جلال؟ قد خفت عليك وذهبت أبحث عن من قد يساعدي فوجدت ذلك البيت، فوقفت على بابه أريد الإغاثة.

• تعال إلى البيت، ومهما حصل معي أو حصل معك، لا ترجع به إلى ذلك الرجل.

• ولماذا؟ وما بينك أنت وذلك الرجل؟ وماذا تخفي عني؟

• افعل ما أمرت به، وأنا أعلم بما يضرك وما لا يضرك، فقط افعل ما أقول لك ولا تخاطبني في ما أنهاك عنه.

• أمرك مفعول، وصلنا إلى البيت ودخلت إلى غرفتي بعد أن كانت حالته ليست جيدة، سمعت نداءً فأقبلت إليه في عجل. "ما بك يا جدي؟"

• هل أنت عازمٌ على أن تعرف كل شيء؟

• نعم، ومتحمسٌ لذلك، فإني أراك تخفي عني الكثير.

• حسنًا، استعد وعلم أنك أنت هو من اخترته، وعلم أيضًا أنك ستدخل نفسك أمرًا قد لا يكون لك منه مخرجًا. سأبدأ لك بالرجل الذي أحضرته لي.

• قصدك جلال؟

• نعم، ذلك الرجل كان صديقي وكان أقرب المقربين إليّ. لكن حصل بيننا سوء تفاهم مما جعلنا لا نكون علي قلب واحد

أعلم أن في رأسك الكثير من الأسئلة، سأخبرك بما يتجول في رأسك من أفكار. ملك الحصباء كان ملكًا ظالمًا، كان يأخذ من الناس مالهم وأموالهم ظلمًا وجورًا، وكانت هناك ملكة اسمها تولين وكانت مملكتها على سفح ذلك الجبل الذي كنت تريد صعوده. كانت ملكة يحسب لها ألف حساب، عندها من العسكروالمعسكر ما يجعلها أقوى الممالك على الأرض. كانت عادلةً وطيبة القلب، يحبها القريب والبعيد والضعيف والقوي. في يوم من الأيام، كانت تنادي إلى طائرها المجنح ليحملها إلى أرض طواقين. كانت أرض طواقين أرضًا خضراء تحور فيها الأعين،

كانت أرضاً عزيزةً تعزضعيف وتذل القوي، العدل فيها سائد والرزق فيها متناثر، يعاقب فيها إثنين من خان ومن عاد. أما عن الخيانة، فهي يقولونها لمن قد أعطي له ملكهم عزمًا، وهو أن يدعا ليضع يده في الدماء ويمسح بها على وجهه، فتعتبر هنا كأنك منهم، وعليك شروط وقواعد، وأن لا تخالفها وإلا أقيم عليك الحد. أتيتُ أنا والمملكة تولين إلى ملك طواقين، وكانت الملكة سريعة الغضب، أخذت تناقش معه بعض الأمور المشتركة بينهما، التطور المملكتين وجعلهما يسودان أكثر. ذهبتُ أتجول في الشوارع المملكة، فإذا بامرأة تركب حصانًا، وكانت شديدة البياض والجمال كأنها الليلة البدر عند تمام لا يمكن وصفها. إذا نظرت إليها من بعيد كانت كاللؤلؤة والمرجان. أقبلتُ إليها فأقبلت وكأنها لا تراني شديدة العزم والانعزال عن جورٍ وعن خفة الهوان، عيناها مدهامتان ونظر إليها يشفي غليل وحزن كل إنسان، فتبسمت فكأنها البرق خطفت كل الأبصار. أقبلتُ إليها فانقلبت كأنها لا تراني ذاهبة على طريق ممدود، وكأنه مهجور، وكانت تحمل سيفًا على رأسه حجرًا يحير العين من حسنها. ناداني منادي الملكة تناديك.

• "هل تهم في الذهاب؟"

• "نعم".

• "حسنًا، سأحضر حالًا".

• "يا منير، أين ذهبت؟"

• "خرجتُ أستنشق بعض الهواء".

• "ستذهب أنت وجمال إلى أرض المعذيين، فهناك تهديد بحرب وفتنة قد أوشكت أن تقوم. سأرسل معك مئة ألف محارب مدرعين ومجهزين، ولا أريد أي خطأ قد يردي بنا إلى خسارة هذه الحرب".

• "لك ذلك، يا مولاتي، لكن ماذا بشأن رضوان؟"

• "رضوان عنده بعض الأعمال هنا، وبعد أن ينهها سيتبعكم إذا كان محتاجًا إليه هناك".

• "حسنًا، يا مولاتي

• "يا منير، هل متأكد من أنك تستطيع توليت هذه الحرب؟"

• "نعم، مولاتي، إني أراني أهلاً لذلك".

• "حسنًا، سنجهزك لأن الترحف بجيشك".

• "وأين هو جلال؟"

• "ينتظرنا في القصر".

• دخلنا باب القصر، وكانت كل الأبصار شاخصةً من شدة الخوف.

• "يا جلال، هل عرفت بما نريدك فيه؟"

• "لا".

• "نريدك أنت ومنير لتقودا حربًا نحو المعذيين، ولا ترجعا إلا بنصرٍ أو الشهادة".

• "أمرك يا مولاتي".

• "قد جهزت لكم الجيش وكل ما ستحتاجون إليه".

• خرجتُ أنا وجلال بجيش عظيم إلى خصم شديد وهو مدرك الذي يريد بأي حيلة أن يسقط مملكة كادي. فلتقي الجيشان عند منحدر يسمى بسطوره، وكان القتال عليه شبه مستحيل.

• لكن لم يكن عندنا إلا المواجهة وتقبل الواقع، جلال على ميسرة الجيش وقلق على ميمنته، وكنْتُ أنا في القلب. تقدمتُ الميمنة إلا نزال ضاع فيه الكثير من الدماء، وبدأ الضعف علي على الميمنة. كان مدرك من الفرسان الأقوياء، وكان معروفًا بالعقل والفتنة. اشتد النزال وبدأ التعب يظهر على المعسكر وهمت الشمس بالغروب. تصادم الجيشان كتصادم الأمواج فلا تكاد ترى ما حولك. انتهت المعركة بنصر عظيم، وأسرت الكثير من الجنود الذين خانوا أرضهم وشعبهم. كان من بين الأسرى مدرك بتلك الليلة، طلع الفجر وهتفت الدنيا على من قاتلوا بعدوهم فانتصروا عليه.

• "يا منير، قد تفوقت عليك في الميسرة، وتفوق عليك جندي".

• متبسّمًا، أنسيت فلق الذي ضاع هو وجنده لولا أن تداركناه.

• فضحكنا معًا حتى وصلنا إلى مملكتي كادي، فقام المعسكر بأداء التحية لنا و اقيم احتفالاً عظيمًا بالانتصارين.

• "جلال، هل رأيت لي الرضوان؟"

- "نعم، كان جنب البوابة كأنه يتحدث مع الشخص ملثم".
- نظرتُ إلى أطراف البوابة، فإذا به يقف وراءى ويضحك.
- "مرحبًا يا أبتى، مبارگًا لكم الانتصار".
- "و أنت، أين كنت؟ لم أراك أيامًا".
- "كنت محاصرًا بعض الأعداء، وأظن أنها حرب ستقوم أيضًا، وقد أكون أنا من سيقودها".
- "حرب مع من؟"
- "مملكة الحصباء، ملكها طلق يريد أن يغزوني، فصارحتما علينا أن نسبقهم، إما أن نتصرف أو نهلك".
- "و أين هي زوجتك ضي و ابنك معتز؟"
- تركتهم عند البحيرة ينتظران هناك، قد أطلت عنهم أستودعك على رحيلي.
- ننبه إلى نفسك وكن حذرًا فهم كثيرون
- إن شاء الله أوصيك بأهلي إذا لم أعد فهم تحت رعايتك.
- مثل لا يوصي.
- أستودعكم الله.
- سلام عمتك.

- قد اطلت يا رضوان.
- نعم يا ضي، كنتُ مع منير فتأخرت عنك، سأرسلُ إليه لتبقي معه.
- وأنت، إلى أين تتوجه؟
- قد استدعتني الملكة تولين للانضمام إلى حرب مع مملكة الحصباء.
- بعض الدموع تنهمر على الخد، أخشى يا رضوان ألا تعود إلينا.
- لا تخافي ولا تحزني، سأعود إليك وسنعيش أنا وأنتِ مع ابنا.
- قد وعدتني يا رضوان فستوفي بوعدتي.
- سأوفي بوعدتي، إلا...
- إلا ماذا؟
- الأعمار بيد الله.
- هل هناك احتمال ألا تعود؟ أم أن حريك موت او حياة
- ضاحكًا، هل يمكن أن تكون هناك حرب ليست فيها الموت أو الحياة؟
- لا يمكننا ضمان العمر، فلا يوجد وقت أو زمان محدد له، إذا حان الوقت فلن يكون هناك مفر، لا تبكي، سأعود إليك بإذن الله، لنذهب فالوقت قصير وزاد يسير.
- إلا، إلى أين؟

- مبتسمًا لا يمكن أن تكون نسيت.
- لا ألوم نفسي إذا نسيت.
- سأعود بإذن الله.
- مرحبًا منير.
- أهلاً يا ابنتي ضي، معزز، أراك قد كبرت وصرت شابًا، حان الوقت لتنضم إلينا
- سأذهب، الملكة تولين تنتظرنني في قصرها.
- متى ستخوضون الحرب؟
- ربما اليوم أو غدًا.
- حسنًا، أستودعك الله.
- مرحبًا يا تولين.
- "أهلاً رضوان، هل جهزت؟"
- "نعم، أنتظرك فقط. أمرك الذهاب."
- "حسنًا، استعدوا. ستذهبون لأن قد جهزت لكم كل ما قد يلزمكم من معسكر وأسلحة وجيش."
- "وما هي الخطة؟"
- "لا خطة، كل من جاء أمامكم اقتلوه. كونوا كالعاصفة، لا تبقي ولا تذر."

- "قد أجيب أمرك يا مولاتي، أستأذنك في الرحيل."
- "عمتك سلامة، وعديني أن لا تأتيني إلا منتصر."
- "ذاك في يد الله، يا تولين. إنما نحن عبيد، لا حول لنا ولا قوة."
- "عمتكم السلامة."

بدأ النزال، واصطف الجيشان، وبلغت القلوب الحناجر من هول ما هم فيه. وكانت حربًا يحسب لها ألف حساب. لم تكن كل الحروب كانت قاسية ومليئة بالدماء. كانت إما النصر للمملكة كادي، أو خسارة وسقوط المملكة والملكة تولين وتبغى الأرض تابعة للمملكة الحصباء.

تصادم الجيشان، إما جريح وإما قتيل. كانت في البداية القوة لنا، كنت ميمنتنا تضعف، وكان ذلك قد يلقي بنا إلى الهاوية، حتى دخل تدخل السريع، مما جعلها تصمد. بدأ الخوف يتسلل صوب الصفوف الجيوش، مما جعلنا لا نرى إلا دماء تتطاير. كان رضوان قوي الهيبة والبنية، كان شجاعًا، أحال الأمور بطريقته الخاصة، فأدار المعركة بجزء الجيش. فكان ذلك طريقًا إلى الانسجام، مؤخرًا للجيش، لتي أعادت القوة والعزيمة والإرادة أن تتجدد.

حتى وصلت الحرب للمرحلة، كانت الأرض فيها تلتبس بثوب أحمر. تساقطت الأمطار لتعيد مجددًا كاد أن يكون فقيدًا في تلك اللحظة. حتى أتى سهم فسقط في الظهر، رضوان. فقام الفزع، ينشد أنشودته في قلوب الجنود، بأن قائدهم

الرضوان قد مات. أتت مفاجأة، لم يحسب لها كل طرفين حسابًا، ألا وهي الخسارة. المملكة تولين، التي لم يكن ملك الحصباء يحلم بذلك يومًا، ولا تولين تتوقع أن يهزمها أحد. بدأ جيش طلق يزحف بجيشه إلى مملكة كادي، ليكمل انتصاره لكن لم يجد الملكة تولين، فأسر كل الخدم والجواري. وفي تلك اللحظة، أتت ذات السيف، لتي عليه جوهرة ذات البياض الفاقع، ذات العينين المدهامتان. هي ووالدتها، دون علم بما كان يحصل. فكانتا القمة واحدة، وضربة بحجر على عصفورين. فكانت أيامًا شديدة على منير وضي، وعلى جلال بأسر زوجته وابنته، لتي قد يكونا ماتا أو على حافة الموت. وكان جلال يلقي اللوم على الرضوان ومنير، بأنهما لم يكن يجب أن يخسرا الحرب. ويقول بأن سبب خسارته، بأنه لم يكن له فيها جملة ولا الناقاة.

• ماذا حل بمرام وطيف؟

• أسرهما طالق في مملكة الحصباء وجلال يلومنا على تقصيرنا وبعد أيام قليل سمعت بموت زوجته طيف بسبب محاولته لإنقاذها هي ومرام.

• سيأتي يوم وينتهي فيه طلق، فهو قاتل أبي أولا وظالم ثانيا ومعذب مرام وقاتل أمها.

• معتز ترك الحرب والبحث عن الثأر، فمملكة الحصباء أقوى من أن تستطيع هزيمتها.

- أليس الصبح قريباً؟ سنرى أي الجندين أولى بالنصر؟ أما أن أخذ تأري أو الموت؟ ولماذا أخفيتم عني، أنت وأمي، قاتل أبي؟ لماذا؟؟؟
- خفنا عليك من أن تدخل رأسك هذه الأفكار التي أدخلتها الآن.
- ولهذا كان جلال غاضباً منك.

• من لم يبحث لك عن عذر فلا تعطيه عذراً، زوجته ماتت قتلها طلق، وذاك صوت الذي تسمع في الغابة يبكي، صوت مرام تبكي على قبر أمها في الغابة، فقد قتلوها أمامها، أشد قتل، وعذبوا مرام كثيراً من العذاب، لكن مرام قوية بما فيه الكفاية حتى تحملت وصبرت عليهم وعلى عذابهم، أما أمها فلم تستطع أن تصبر فكانت تخرج كل الليلة إلى قبر أمها تبكي عليها وتأسس بها على قدر الزمان بها، وجلال لم يستطع أن يفعل أي شيء حتى ينقذ بنته.

• ولماذا لا يفعلها؟ أليس له قلب يشفق؟

• يخاف من أن تموت ابنته كما ماتت زوجته. ليس الجلال حول ولا قوة، فقد استعان بكل شخص لكن كل من جاءه يريد منه مد يد العون يرفض بسبب طبعه الحاد، فقد كان قليل من يستطيع أن يتفق مع طبعه، وكان عنده كثير من الأعداء مما جعله لا يستطيع أن يثق بأحد، فأصبح عاكفاً في بيته.

• وماذا عن تلك الأعين الحمراء التي كانت تنظر إلي؟ وذلك الحدث الذي وقع معي في تلك الليلة؟

• تلك الأعين الحمراء كانت أعين حارس الغابة جفرة، وذاك الذي كان يجذبك هو، فلما أحس بي تركك، كان من الممكن أن يأسرك لتكون ضحية مثل مرام.

• أظن أنني تعبت وأشعر بالمرض، وأريد بعض الراحة.

• سؤال أخير، يا جدي، ماذا حصل لمملكة طواقين؟

• لازالت قائمة حتى الآن، وتتمتع بكل سلطتها وحريةها.

• ولماذا لم يدخل مع تولين في الحرب التي خاضتها؟

• قد أصر ملك طواقين أن ينضم معها إلى الحرب، لكن الملكة تولين رفضت بدعوى أن الحرب حربها، هي من ستستعيد الأرض التي كانت تابعة لها وتستعيد سلطتها. فغضب الملك من فعلها وقال بأنه لن يتدخل حتى ولو هُزمت، كان ملك طواقين من أصدقاء المقربين، وكانت بيننا علاقات قوية، وقد دعاني مراراً وتكراراً لأن أسكن معه وأرجع إلى السيف والرمح، لكنني رفضت. فبعد موت الرضوان، قد اعتزلت الحرب. سأنام يا معتز، نكمل حديثنا غداً. أعطني بعض دواء.

• "ما بك؟ هل زاد مرضك؟"

• "نعم، أحسني، قد اشتدَّ علي المرض والحمى."

• "شفاك الله وردَّ إليك السلامة. سأحضر إليك بعض دواء وأتركك تنام."

• "أظن أنك استنجوا بفعلتك، يا طلق؟ لأنفسنا، روحك من جسدك، ولأقطعنا

دابرك، ولأصلبناك تحت جذور النخل، ولتعلمنا أين أشد وأطغي. يا جدي، اقم."

- "جَدُّكَ لَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ، أَظُنُّ أَنَّهُ حَانَ أَجْلِي. لَا تَبْكِي."
- "وَكَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَنْتَ مِنْ كُنْتَ أَسْنَدَ عَلَيْهِ الظَّهْرِي؟ ارجوك، لا تمت، ارجوك، لا تتركني كما أني لم أتركك، فلا تتركني."
- "يا بني، الأعمار ليست بأيدينا، وإنما نحن ضيوف وراحلون. فالله هو خير حافظٍ وهو أرحم الراحمين."
- "ألم تقل أنك لا ترفض لي طلباً؟"
- "بلى، قلت، وما زلت على ذلك الوعد."
- "إذا قلتها، ففعل وعدك، ولا ترحل عني."
- "لو كان في يدي لفعلت الأعمار بيدي، الله يبني. ألي بوصية عندك؟"
- "آآآآه يا الدنيا، آآه وبلتاه، لا أستطيع تنفس يا جدي من شدة ضيق صدري، لا أستطيع التنفس، قد ضاقت بي الدنيا. نحن هم أضحية الزمان، والمرّيجري على الفؤاد طليقا، لا يكاد يرى إلا على خدّ، قد النال من العذاب ما نال. وأنت فقيدي اليوم. فمن سأجد لأنس بيه ويصرف عني قما، قد نال مني؟"
- "هون عليك، يا بني. كلنا راحلون. هون عليك دنياك. فأنت ستعيش فيها كلّّي الحاليتين، إما أن تجعلها سعيدة فتأنس بها، وإما تجعلها يائسة فتهلك."
- "وما وصيتك؟"

• "إذا مت، فلا تستعن بجلال، ولا تخبره عني، ودفني تحت شجرتي أضحية الزمان."

• "ولماذا أدفنك تحتها؟ ولماذا سميتها هذا الاسم؟"

• "لأنني أضحية هذا الزمان. أظنُّ أنه حان رحيلي يا بني. احذر علي نفسك، ولا تحملها مالا تطيق، ولا تنس الثأروالدك. فإني كنت أستطيع أن أخذه لكني تركته لك أنت لتكون هو قاتل أبيك وقاتل ومدمر عدوك وعدوى."

• "لم تكن تنهاني عنه؟"

• "لم أكن أنهاك عنه، كنت لا أريدك أن تأخذ الثأرو أنا حي."

• "قد حملتني، يا منير، حملاً ثقيلاً، وأنت من كنت تنهاني عن أن أحمل نفسي ما لا تطيق."

• أظنُّ أنه قد حان رحيلي... أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

• رحمك الله يا جدي. ما أثقلك أنت، يا حيات. أه أه، رحلت عني وتركتني وحدي، يا منير، ما كنت لأتركك وحدك، فلماذا تركتني؟ لماذا؟ يا قدر الزمان، نحن الضحية الآن، فمن الضحية الذي بعدنا؟ كيف سأدفنك وحدي وأحملك إلى مكان دفنك؟ من سيعينني؟ أظنُّ أنه مكتوب لي أن أعيش الدنيا كلها متاعب. يا جدي، أسمعني؟ يا جدي، تكلم، قل لي بأنك لم تمت، قول لي أنها مفاجأة، وأنها إحدى مزاحاتك. يا جداه، قل لي ولو لحظة، معتر، قل لي أنك تريد أن نقوم، لنذهب ونتنزه ونمشي على قارعة الطريق، ونضحك جميعاً. أتذكر ذلك اليوم

الذي سقطت فيه في الماء وضحكت علي، أتذكر حين أعطيتني خبزاً وكان مالحاً،  
وحين أكلتها كدت تسقط من الضحك. إذا كنت نسيتهما، فإنني لم أنساها. اتكأت  
على صدرك، فلا تلمني إذا ذكرت بالمو اقف، فإنها في ذاكرتي.

• قد نمت! علي دفنه قبل أن تغرب الشمس. سأضعه على هذا الخشب وأجره  
حتى أصل به إلى القبر. ستودعك الله، فكما تركتني في الدنيا وحدي، سأتركك في  
قبرك وحدك، لكن سأختلف عنك، سأزورك في كل الحظة. والله أتمنى أن  
أستطيع أن أنزع قلبي وأرميه، ففي هذه الدنيا لا تلقي منها إلا عذاباً. أريد أن أنام  
أو أن أموت، فلا أستطيع العيش في هذه الدنيا وأنت لست بجاني. سأظل من  
حزن إلى حزن وفقد إلى فقد، لماذا لا أكون هو أول من فقدت، أولاً والدي، وثانياً  
أمي، والآن جدي؟ لماذا لا أكون أنا هو الأول، حتى لا أمر على كل هذه اللحظات  
أتحبّ أن تراني على هذه الحالة؟ تحبّ أن تسمع صوت بكاء؟ قمّ يا جدي، قد  
قتلتني بسيفٍ لم يقتل به أحدٌ قبلي ولا بعدي. قد أخذتني من الدنيا وتركت روحي  
وقلبي يعذب في هذه الدنيا.

يا جدي، أتيت إلى البحيرة فسمعت صوت مرام لا زالت تبكي على أمها. أظنّ أنه  
لكلّ منا عذاب. متى سنتحرر من جحيم؟ قمّ يا جدي، ولماذا قصّصت علي كلّ  
هذا وترحل عني دون أن تكون معي؟ قد وضعت فوق ضياع. أنام النهار وأبكيك في  
الليل. أظنّ أن هذا هو حالي وحال مرام معي. سأذهبُ يا جدي، قد بدأت الشمسُ  
بالشروق. سأذهبُ لأعيش في حلم ومنام، فليس لي في الدنيا حياةٌ بعد الآن

• بعد أن غابت الشمسُ ورتلت الرياحُ أنشودتها، وكأنها تقول: "أفّ لقد الزمان، فكم من قويّ أسقطته." ذهبْتُ إلى البحيرة، لعلّ مرام تسمعي أو أسمع صوت بكائها فأخفّف عنها. فإذا بتلك العيون الحمراء تنظر إليّ وتقرب حتى قالت لي: "مات جدّك." بصوتٍ عالٍ ومليءٍ بالفرح والسرور.

• "أتظنّ أنك ستنجو مني؟ سأقتلك وأقتل ذلك الإمعة الذي يختبئ وراء جنده. سأقتله فوق أرضه وتحت سمائه. سأجعل منه عبرةً للعالمين، لأجعلهنّ عبرةً."  
• "أو تظنّ أنك ستنجو؟ ستموت كما مات والدك وجدّك، لتعدّين حتى تتمنّى الموت.

• ضاحكًا: "وأيّ عذابٍ فوق الذي فيه؟"

• "عذابٌ أشدّ وأطغى.

• ذاك العذاب هو الذي سأجازيك به. فتذكره جيدًا وقلّ لمولائك أنّي سألقاه، ولو كان آخر أيامه

• مولاي، طلق، قد وجدتُ معترز وكان يتوعدك، ويقول بأنه سيلقاك ويلقاني، ولو كانت آخر أيامي في الدنيا.

• ضاحكًا يتوعدني، بماذا؟

• يتوعدك بالموت.

• إذا فليفعل ما هو فاعله.

• وإذا حان وقته، فموته هين علي، ألا زال يستمع الصوت بكاء مرام؟

• نعم، لكن البارحة لم أتركه يسمع صوتها.

• خلّ سبيله إليها، فليسمع حتى وإذا حان وقته فموته هين علي

• نعم، لكن البارحة لم أتركه يسمع صوتها.

• خلّ سبيله إليها ليسمع، حتى يعرف بأن ما فعلناه لها قد نفعه له في أي لحظة.

• هل من أخبار عن جلال؟

• لا زال عاكفًا في بيته، لا يبدي لنا أي ردة فعل، بعد أن توعدنا بهلاك ابنته إذا حرك ساكنًا.

• راقبه، فجلال لا يأتمن، فقد يتحرك دون أن نشعر به، فعضوا عليهم بالنابل حتى لا يجدوا ملتجئًا إلا إلينا، وذاك الذي يسمى معتز، أراه عنيدًا، وليس عنده ما يخسره، فقد ضاع منه كل شيء، حتى نفسه، فراقبوه جيدًا.

• امرك يا مولاي.

• يا أمي، قد أتيتك الليل بعد أن منعوني عنك البارحة. يا أمي، إني أتألم، هل لا تحضنيتي؟ فأني عاجز عن التنفس. يا أمي، هل لا تجعليني على صدرك أشم رائحتك وأتنفس من نفسك؟ يا أمي، قد أظلمت الدنيا بكل جوانبها، بين أشجار غابة لا حياة فيها ولا مأكول ولا مشروب ولا من أنس به. لماذا لا أكون أنا من مات

أو أظن أن الموت يا أمي كان أهون عليك؟ فالحياة إذا كانت فيها فقط العذاب والهلاك، فخير لنا أن نموت. والدي جلال، لا أعرف عنه شيئاً، قالوا لي بأنه مات، وإن شاء الله يكون لا زال حياً يرزق.

• أظن أنني سأفعل شيئاً لم أفعله قط سأقتحم تلك الغابة العينة وأهلكها عن بكرة أبيها عندما يحين الظلام قد أوقرت العيون وعيني لا توقروا أحببت القلوب وقلبي لا يحب مت حين مات قلبي وضاعت النفس هوان الدنيا أصبح علي هين والعيش ليس لي عنده مطلب أبكيك الليالي ونهار والوحدة قاتلة قلبي أسري نفسي وملاذي، أساري بها، أسارها علي صبراً ووجعاً قد عاد ونال مني مقبضاً اهم إلا الرحيل وما الذي أرحل إليه إلا قاتل والدي أم إلا موت يكاد يلقاني أم إلا عذاب يدق كل يوم بابي أوجعتني أيام أوجاع لا ترحم، أقول ومن الذي يصبر صبري تعودت عيني على البكاء، فدمع يجري جريان الماء، وضحكة هجرتها قبل أعوام، وأحبة ماتوا وبقي العزاء، ليس الثلاثة أيام بل أعوام، ومن يعزني أهى الريح أم العزاء لغيري يعزي أما أنا فلا عزاء أمشي على قارعة الطريق والأفكار هي رفيقتي بل رفيقة دربي بل عزيزة الهوان أعيد الأيام والليال وفقدي الأحباب وطول الدهر وطول الغياب أضحية أساري والأشواق أدري بذاك الفراق كان خوفاً من شيء خوف الشات من ذئاب كان خوفاً من فراق فلا يطيقه قلبي ولا أنفاسي ولو لم يكن خوفاً من رب ويوم تنادي لنلت منها يوم ذاك الفراق أجلس كل يوم على عتبة الباب لأخفف عن عتمة البيت أنظر النجوم صاعدات وأقول هل أنا أول من يراك وعلي هذا الحال أم من قبلي قد عانى حتى ألفت أول الألباب، أيا أشجار

هل تشعرين بآلام أو مرة جنبك أحدًا عاني عذابًا أشد من عذابي؟ طول دهر أنساني نفسي ولم ينسني ما هم قلبي و أتذكر أيام الخوالي وساعات طوال أعيش في بيتي وحدي تارة أنظر إلى السقف وتارتا أنظر إلى الباب أتذكر مكان جلوس جدي وصوت ضحكه في تلك الأيام. أمضي النهار طواله لا أكلم إلا نفسي أو فيض أفكاري أعاشر ذكريات لا تزول من خاطري كأني حضرت من دنياي تسيل دمعتي مرة دون سؤال فأسألها لماذا لا تستأذني فتقول قد تعودت العين على البكاء. أزور جدي في كل الليل ونوحى حرش كالجريان يشتد بي الحال، فأنظر نحوي عن من أضع رأسي على أكتافه أو من آتية فيخفف عني ألمًا.

• يا أماه يا أماه ألم يحن الفرج ويخف عني هول شقاء أتدرين يا أمي قد ضاع الشباب ما عشت ولا مت وعذاب العذاب ولا يوجد من يعلم بحالي غيرك، لو كان في مقدوري لشقت الأرض وجاورتك أو أطحت سادل الأيام أو أعطوني سيفًا فأقطع دابرهم أو آوي إلي والدي فقد طال شقاق قد مله القمر من بكاء والنجوم طول الليل عاكفة الأنظار قد أشفقت عليّ وربي أعلم بحالي لم أعش ولم أمت ودهر طويل علي المعذب في العذاب يا رب قد قلت أن بعد العسر يسرف فرج عني يا كريم يا وهاب، تعبتُ وتعبتُ الأيام مني، وتعبت منها ومللت مني ومن طول عتاب. أتذكر أيام اللهو والضحك في ذلك اليوم المطر بالأمطار. قد نسيتُ نفسي ونسيتُ هو اياي وأحلامي التي ضاعت ضياع النمام عندما كنتُ مليئًا بالأحلام وحيث الخيل الأحمر والثياب البيضاء. يوم كنتُ لا أحمل شيئًا إلا لإرضائك، ولكنك رميتني بابتسامتك وضربتني بسيفك وسهمك الذي لا يخطئ. حقًا، هكذا

الدنيا وكذبت علي نفسي إذا قلت أنني سأجدها كما أشاء، ستأتيك مرة حلوة كالعسل في الماء، مليئة بالنعم والفضل والازدهار، فتنقبل تلك النعم وتنسى شكرها وحمدها، فينزع منك فتقول: قد حان العذاب.

• أواسي نفسي وكلما اقضيت جراحي تقوم من جديد، تؤمني آلام تتلوها ألم وجروح تعقبها جروح، تغيير عليّ بالآلام لا ترحم. تقول: أنا كابوسك المؤلم، ونسيتُ معنى الضحك أو التيسم. ستظل تردد كل يوم: ألم بي ألم، أنظر إلى الدنيا فلا أرى فيها غير نفسي، سجيناً لأفكاري وحزني. أو أنني سأتحرر؟ أتحرر من ماذا؟ من أفكارني؟ أم نفسي؟ فهواني عليها يبلغ فيها كل مبلغ وهواني على النفس يزداد صعوبة. وما أرى أصعب من حين تكره نفسك، وكل فعل لها تلوم أو أن يعلو صوت أفكارك، فلا تستطيع إسكاتهما، وحين تفرمها لا مفر، فهي في رأسك ترتل ما عليك إلا أن تستمع لها. وذلك أصعب، أم أن تفرمها وذلك مستحيل. أو أن تجلس وتسمع ما تتلو عليك، فهل تصبر؟

• تأتي إلى فراشك، وكلك صوب شيء وهو النوم لتستريح، ولو لحظة عن الدنيا وأفكارك التي لا تسكت. فتأتي لأفكار عاكفة: يا فلان، ليس مني مفر، أنفر من نفسك؟ فليس لك مخرج. أو ليس لي في الدنيا من يخفف عني؟ أقول: أني أعيش ومع عدوي الذي لا يضعف. أنظر في النفس لأعرف ما لمحزن، أفقد جدي؟ أم الوحدة؟ أم الموت؟ أم أن عدوي ينعم؟ أف الدنيا، يوم دخلتها، وأف لي، يوم

ولدت. أضع رأسي على الحائط و أقول: صبراً علي، فليس عندي من يعكف علي، ويسندني، ولو بكلمة، ويمسح عن عيني دموعاً تهمر. يا جدي، لست أنت الذي أضحي الزمان به، بل أنا الضحية. أمضي الليل والنهار وحدي، أظل يوماً نائماً وليلي مظلمًا.

• يا معتز، متى ستظل على هذه الحالة؟ متى ستظل ضعيفاً؟ متى ستخرج وتعيش حياتك على الوجه الأكمل؟ بكائك هنا وجلوسك لن يعيداني. قد أمضيت الشهران وأنت في حالتك. تخطي ماضيك وعش حاضرک، ودع الأيام تفعل ما تشاء. وطب نفساً، إذا حکم القضاء، اذهب واطلب ثأرك، وحرر نفسك ومرام من العذاب الذي فيه، من ستنتظر حتى يحرك أو يخرجك مما أنت فيه. أنت من ستحرر نفسك يا معتز، أنت أقوى من كل هذا.

• جدي، لقد عدت، لا تقلي بأنه حلم. أه، ليتني ما ولدت يوماً. وكيف سأخذ ثأري؟ معك حق، يجب أن أخرج من هذه الحالة التي فيها. يجب أن أكون معارف حتى يساعدوني على ثأري. يجب أن أخرج من وأصارع الأيام وغدر الزمان. فلن أظل جالساً وعدوي يضحك ويلهو، إلا من سأذهب، ومن سأطلب منه المساعدة. المهم أن أخرج وأسافر وأجد حلاً لأقتل عدوي وأخرج مرام من عذابها. أظن أنني سأذهب إلى جهة اليمين، يمكن أن ألقى أحداً. أه، لقد تذكرت جلال، فعنده كل المعلومات عن الفرقين. السلام عليكم، يا جلال.

• أهلاً، يا معتز. لم تمر عندي بعد تلك المرة. كيف صار جدك منير؟

• قد ... قد مات.

- لا، قولي بأنك تمزح، ولماذا لم تخبرني بمرضه حتى أبحث له عن دواء؟
- لم أستطع أن أتركه. كانت حالته ترثي لها. كان يحتضر، وظللت عنده حتى توفي. ودمع العين، رحمه الله.
- كان الرجل شديد العزم والقوة. لم أكن أظن أنه سيموت يوماً إلا في صفوف الجيوش والحروب، وعلى ساحة المعارك.
- قد أخبرني بكل شيء عنك وعنه وعن والدي وبنتك مرام وزوجك. وعن الخلاف الذي بينكم، وحتى عن الملكة تولين، وعن الزمن شباكم وصيدكم ولهوكم، وحتى عن الرضوان وقاتله.
- الرضوان لم يمت مقتولاً.
- بلى، قتل مقتولاً، وأخبرني منير بأنك لا تعلم بذلك.
- والمآذي منير أخفى عن ذلك؟
- لم يخفيه عنك، لكنك ظننت بهذا، وهو تركك في ظنك. ومتى توفي جدك؟ توفي منذ الشهرين.
- ولبثت كل تلك المدة وحدك؟
- نعم، كنت دائماً أزوره تحت الشجرة، أضحية الزمان، وأزور مرام.
- كيف تزور مرام وهي عند ملك الحصباء؟

- أسمع صوت بكائها عند بحيرة ليست ببعيدة منها.
- كانت تلك الشجرة غالية على جدك، وكان يسميها بأضحية الزمان. كنت دائماً أجده يستظل تحتها، فأقول له: ما يعجبك فيها؟ فيقول لي: ما يعجبك أنت في زوجك فنضحك معاً حتى نكاد نهلك من الضحك.
- نعم، فقط أوصاني أن أدفنه تحتها، فكنت دائماً أسمعها يقول عنها لأشعار.
- نعم، كان مولعاً بالشعر.
- لكن مالي؟ لا أراك مهتماً بأمر مرام.
- بل مهتم، لكن طلق عندما تفتن إلي ووجدني أجهز جيشاً نحوه. هددني بقتلهم، فتوقفت تلك اللحظة حتى أجد خطة لأغلب الموازين عليه. لكن من كثرت جواسيسه علم بي، فقتل زوجتي وأخبرني أنه أي حركة سيقتل ابنتي. وهنا بقيت مكتوف الأيدي، احترق من الداخل، وأتوعده كل اللحظة أن أهلكه، لكن ليس في يدي حول ولا قوة، فأصبحت أنتظر العل الله يجعل لي مخرجاً.
- خرجت إليك يا جلال بعد أن أمضيت فترة عشت فيها لا أعلم إذا كنت حياً أو ميتاً. فتذكرت بعد أن أخبرني عنك جدي منير، وعن معرفتك بالجيش والقادة والممالك المجاورة، فقلت: استعين بك لعلك تعينني.
- أعينك على ماذا يا معتر؟
- علي أخذ ثأري وقتل ذاك الخبيث.

• تأخذه وقد مضت كل هذه الفترة عن موت والدك الرضوان، ونسيته الناس، حتى جدك لم يحرك ساكنًا لثأره.

• إذا كنتم نسيتم فأنا لم أنس، وجدي أيضًا لم ينس، فقد أوصاني قبل مماته بثأري.

• لا أظن أنني أستطيع أن أساعدك يا معتر، فإني أخاف على ابنتي أن تقتل.

• خير لها أن تموت من هذه الحالة التي فيها، تعيش ليلها ونهارها بالبكاء. لو كان عندي حول أوقوة لقتحمت الغابة حتى أحررها. ومتى ستظل هنا جالسًا مكتوف اليدين ومرام تعذب؟

• وماذا أفعل وأنا، أي ردة فعل مني، قد تقتلها؟

• عندي لك حل.

• قد يسمعنا أحد جواسيسه؛ فهم منتشرون ويسمعون كل ما نقول، ولكنك لا تراهم، ولهذا سنذهب إلى كهف زلخ، فهم لا يستطيعون دخوله أو الاقتراب منه.

• وأين هو ذلك الكهف؟

• يبعد كثيرًا من هنا. خذ هذا الحصان، فقد كان حصان مرام تحبه كثيرًا. لنذهب قبل أن تطلع الشمس وتلتفت لأنظارنا. وهناك سننظر في خطة محكمة وتقول لنا الحل الذي عندك، وسنمر على فلق، فقد يساعدنا كثيرًا، فلا يزال في ساحة المعارك رغم كبر سنه.

• ومن هو فلق؟"

• صاحب جدك وصاحبي، فقد خضنا معارك كثيرًا معًا وانتصرنا معًا.

مرحبًا يا فلق، قد أتاك الليلة ضيوف.

• أهلاً بكم، ومن هذا الذي معك؟

• هذا معتر، جده منير.

• كان منير من أصدقاء المقربين وكنا شيئًا واحدًا.

• نعم، قد أخبرته بذلك.

• إذا ما الذي أحضركم إلي الليلة في غير عاداتكم؟

• قد جنناكم في أمر مهم.

• وما هو؟ ألم تحرر بعد ابنتك مرام من ذلك الإمعة؟

• لازال يهددني، فأصبحت لا أستطيع أن أفعل أي ردة فعل حتى لا يقتلها ويهلكها

كما فعل بأهها.

• ومعتر، قد كبرت. كنت أعرفك ولا زلت صغيرًا. كان والدك الرضوان يحبك أشد

الحب، أنت وأمك، رحمهم الله. لكن قد رأيت على جدك أمرًا لم أحبه فيه، وهو

ترك الثأر الرضوان. فالرضوان أعظم من أن يترك ثأره.

• ذاك لأمر هو الذي جنناكم من أجله.

• من أجل ثأره.

• نعم.

• وكيف يأخذ وقد مضت كل هذه السنين ولم يحرك أحد ساكنًا حتى نسيه الناس وتفرقت الجنود في الأرض وأصبح أخذه شيئًا مستحيلًا؟

• ليس مستحيلًا، أنا وجلال لنا غاية وهدف وطريقنا واحد.

• وما هي غايتكم يا معزز؟

• أن أأخذ ثأري وأن أحرر مرام من أيدي تلك الكلاب.

• لا أريد أن أموت يا فلق، وبنتي عندهم تعذب. فإذا متَّ فمن سيحررها بعدي؟

• لا أحد، فهي تنتظرك ولا أظن أنها تظن أنك حي.

• دمعت على الخدِّ، أشتاق لها، قد ابيضَّ رأسي شيئًا وأصبحت على حافة قبوري، أنتظر الموت، لو لم يأتيني معزز يقول لي بعض الكلمات مما جعلني أقوم حتى أحرر مرام. لما قمت وظللت على ذلك الحال، أنتظر الموت.

• يا جلال ويا معزز، ما الذي تعزمون عليه لأن؟

• نريد تحرير مرام وأخذ ثأر الرضوان.

• هذا شيء مستحيل، طلق قد زادت قوته بعد كل هذه السنين، بعد أن ضم إليه من الأراضي والجيوش، مما جعله أعظم ممالك الأرض. فالحرب عليه والنصر شيء مستحيل ولا يتقبله العقل والمنطق.

• بل يتقبل، فأنا لن أترك ابنتي عندهم تعذب. قد مضت كل هذه السنين ولن أموت عنها وهي عندهم. إن القوة الله جميعاً وما النصر إلا من عند الله، يا معترز، مالي أراك ساكتاً؟ تكلم.

• قد استمعت الحديثه، فهو ليس عنده جند ليساعدنا به، لكن عنده شيء يستطيع مساعدتنا به ليرد معروفًا لصاحبه.

• وما هو الذي يمكنني مساعدتكم به؟

• سيفك وخبرتك في الجيش، وبعض المعلومات التي قد تساعدنا على طريقنا.

• وهل تعرف ما قد يكلفني ذلك؟

• لا أعرف، كل ما عرفه هو أنه ليس عندك ما تخسره، يا فلق. ألم تقل بأنه يريد أن يموت في ساحة المعارك؟

• بلى، كنت أقولها، ولكن أظن أن الدنيا قد تمكنت من قلبه.

• ، فأنت يا جلال لك كثير من الزمن عن هذه المواضيع، فقط طراً خلفك كثير من الأمور وتبدلت الممالك

• يا جماعة، لا تسيئوا إليّ. في بيت لأمر ليس بهذه السهولة خلفك كثير من الأمور وتبدلت الممالك، وأراض طواقم أصبحت عليها امرأة وأصبحت صديقة لطلق ملك الغابة. فكل هذه الأراضي أصبحت تابعة له، وأمرها تحت أمره. وإذا أتيتنا لها نريد عوناً، فسيكون هلاكنا لا شك فيه. فقد يوصلون الخبر إلى طلق، ويكون ذلك هلاك ابنتك عندهم حل واحد وهو أن تبحثوا عن من يساعدكم خارج كل

هذه الأراضي التابعة لطلق، فأنا لا زلت أريد أن أموت في الساحة، لكن لأمر ليس بهذه السهولة.

• يعني أنك لن تساعدني؟

• لا أعرف، يا جلال.

• حسنًا، سنذهب.

• انتظر، يا جلال، يمكن أن نقنعه.

• لا أظن، يا معزز. قلت لك أن الأمر صعب وأن الجيوش والملوك قد تغيرت كلها.

• إذا بماذا تفكر الآن؟

• سأرجع إلى البيت حتى يفتح الله.

• يا جلال، متى ستظل جالسًا؟ لا بد لك أن تقوم وتسبب، فلا بد لسبب حتى يحصل لأمر.

• يا معزز، أنت جديد في الجيوش والمعارك ولا تعرف أن في السياسة لا يوجد عندك الصاحب، كل متلبس بقناع، ومجرد أن يأخذ ما يريد عندك، يستبدلك بشخص آخر. هكذا هي السياسة.

• وأنت، هل لا زلت تريد تحرير ابنتك أم ستتركها؟

• سأذهب، حتى لا يفتن أحد إلى أمري وخروحي.

• إذا كنت ستترك مرام، فأنا لن أتركها ولن أترك ثأري. سأذهب وأبحث عن من يساعدني حتى أجده.

• وإلا، من ستذهب؟

• إلى حيث أستطيع أن أجد من يستطيع أن يساعدني، وسأذهب بخيل مرام.

• لو كان أحداً غيرك لما تركته يذهب به، عمته سلامة.

• إلا أين لأن سأذهب، جلال قد تخلى عن ابنته وقلق تخلى عن أصدقائه، ولكن أنا لن أتخلى عن مرام ولا عن ثأري، ولو كان آخر عمري سأذهب وأبحث عن كهف زلخ حتى أجعله مأوى لي وقاعدة، فقد احتاجه في الأيام القادمة.  
• مرحباً.

• أهلاً يا رجل، هل أنت من سكان هذه الأرض؟

• نعم، ولكن من أنت؟ فأنا لم أراك من قبل.

• نعم، أنا لست من هنا.

• وما الذي أحضرك إليها؟

• كنت في مهمة عندي، وهل أنت من هذه الأرض؟

• نعم، لكن لا أبعد كثيراً من هنا.

- وماذا أرى؟ الحزن والكآبة ترسمان عليك.
- نعم، كنت أبحث عن من يساعدني في ثأري، لكن رفض أصحابي مد يد العون لي.
- عن أي حرب تتحدث؟
- حرب على طلق.
- ومن هو طلق ولماذا تخبرني بهذا؟ وما يدريك، فقد أكون أحد جواسيس؟
- وهل تخفي العيون علي؟ فأنا نظرت الأولى عليك عرفت عنك كل شيء.
- ضاحكًا، وكيف عرفت؟ لا تقل لي أنك ساحر.
- لا، لست ساحرًا ولا كاهنًا.
- وماذا عرفت عني؟
- عرفت أن اسمك مسطر، وأنتك تسكن مع الرجل، فلم أستطع أن أعرف عنه شيئًا كأنه ذي الشأن، وقد تركاك عنده بعد ما توفيا عنك.
- هل كنت تتبعني وتراقبني؟
- لم أكن، فأنا أول مرة أراك، لكن البصيرة تجعلك تبصر البواطن.
- يعني أنك لست شابًا عاديًا كما كنت أظن.

• أنا من أسرة محاربة، وكان جدي دائماً ينمي في هذه القدرة، مثل الفطنة وقراءة العقول والعيون وما يخفيه الإنسان وراءه، لكن لم أستخدم هذه المميزات من قبل، وحين خرجت للبحث عن ثأري، أصبحت أستخدمها.

• وهل عندك أشياء أخرى لا أعرفها؟

• قد تكون، لكن لم أكتشفها بعد.

• ما اسمك؟

• معتز.

• هل ستذهب معي إلى المعلم؟ فسيحبك، وقد يعلمك مما علم رشداً.

• وماذا أريد بمعلمك؟

• حتى نتحدث معه، فقد يساعدك ويعلمك الكثير من الفنون والقتال، وقد يعجب أيضاً بصنيعك في الفراسة وغيرها مما تملك.

• حسناً، إذا كانت هناك مساعدة، سأذهب معك.

• من هذا الطريق، وكن حذراً، فهناك أفخاخ وكثير من العوائق قد تردي بك إلى الموت.

• وماذا يفعل معلمك؟ هو ليس معلماً عادياً، إنه محارب.

• وهل يسكن وحده؟

• يسكن معه أنا وربع، لكنه لا زال يتمتع بقوة لا يستطيع أحد أن يواجهها.

- وهل يدربك على فنونه؟
- نعم، فقط علمني الكثير، ولا زلت أتعلم منه، وحين نصل إليه، ننحني له دون أن نرفع رؤوسنا حتى يأذن لنا.
- أنا لا أنحني لغير الله.
- يجب أن تنحني، يا معزز، حتى لا تتعرض لعواقب.
- مهما كانت العواقب، فلن أنحني، وكيف أنحني البشر مثلي، ضعيف؟
- هو ليس ضعيفًا، هو أقوى مما تتخيل.
- ولكنه ضعيف أمام الله.
- ها قد وصلنا لتزم الصمت، ولا تتحدث حتى يأذن لك، ولا ترفع بصرك في وجهه.
- ولماذا أنت خائف؟ كل هذا الخوف وكل هذه الشروط والأوامر؟
- افعل ما أمرتك، يا معزز.
- مرحبًا سيدي شوان.
- أهلاً يا أولادي، من هذا الذي معك، والذي لا يرفع بصره، كأنه خائف؟
- قد قال عنك مسطر كثيرًا من الأمور، وأنتك حاد الطبع، وكثير من الأمور التي لا تليق بك.
- هل قلت هذا يا مسطر؟ فقد تماديت على شيخك.

- ضاحكًا، آسف يا سيدي، وآسف لك أيضًا، يا معتر، فنحن لم نصل بعد إلى شوان.
- أهلاً يا معتر، أنا أسم أربعة واحد، تلميذ شوان، فقد كنا نمزح معك.
- يبدو أن الناس كلها هنا تتمتع بفكاهة عالية، وأين هو شوان؟ أم أنه أيضًا اسم مستعار؟
- لا، ليس اسم مستعار، فالدخول عليه ليس سهلاً، فلا بد أن نأخذ إذنًا.
- ألم تقل بأنه يسكن وحده؟
- دائماً يحب أن يبقى وحده ليتأمل في خلق الله، ولكن لديه الكثير من التلاميذ والأتباع الذين يفدونه بأنفسهم.
- وأنت، يا ربع، ماذا تفعل؟ هل أنت واحد من تلاميذه؟
- نعم، كنت معه البارحة، نتعلم فن التفادي.
- تفادي ماذا؟
- تفادي أي ضربة قد توجعك أو تقتلك.
- أنا أحتاج إلى من يدريني، فلا أملك من الفن إلا فن المشي.
- وما هو الفن المشي؟
- أن تمشي إلى الأمام وتمشي إلى الخلف.

- ومنا لا يعرف هذا؟
- لا تعرفه أنت.
- ضاحكًا، يبدو أنك تحب المزاح.
- لنذهب، يا جماعة، فقد استأذنت عليه، وسمح لنا.
- مرحبًا سيدي شوان.
- لماذا صاحبكم لا ينحني؟
- قال بأنه لا ينحني لغير الله.
- ومن هو؟
- صديقي، تعرفت عليه، وقال بأنه يريد أن يلقاك.
- ما هو شأنك، يا ولدي؟ وما هو اسمك؟
- معترف هو اسمي، و أتيت لأتعلم منك مما علمت رشدًا.
- وماذا تريد أن تتعلم؟
- أريد تعلم فن القتال، وكيف أستطيع أن أأخذ ثأري بالمختصر، أريد أن أتعلم كل شيء أحججه وما لا أحججه، فقد أحججه يومًا من الأيام.
- أملي علي كل ما في خاطرك، يا ولدي.

• قد ضاقت بي الدنيا، فساقتني إليك الأيام، كنت أعيش مع جدي بعد موته، فأصبحت أعيش وحدي، قد كانت لأيام شبه مستحيلة العيش فيها، كنت أمضي يوماً على هذا النحو، أنام نهاراً وأستيقظ ليلاً، أبكي على جدي وعلى الوحدة التي أعيش فيها، وعلى الأمانة التي وضعت على ظهري.

• وما هي تلك الأمانة

• ثأري أولاً وإنقاذ مرام ثانيا

• ومن هي مرام

• ابنة صاحب جدي، قتلت أمها وهي تتعذب هناك، ولا تجد من يُغيثها.

• أولاً، سنقف معك ما دمت معنا، فلم يلجأ إلينا أحد إلا كنا له عوناً ومداداً، ولكن هناك شرط.

• ما هو ذلك الشرط؟

• يجب أن تسكن معنا حتى تصبح جاهزاً وقادراً على مواجهة عدوك، فأرى فيك مالا أراه في غيرك، أرى فيك عزمًا وقوةً وبصيرةً، وأشياء أخرى تقتصر عليك، ويبدو أنك من أسرة محارب، وأرى فيك عظمةً وشأناً في أيامك القادمة، فقط احترم الضوابط والقوانين وسيذهب معك مسطر ومربع حتى يعلمك بالأمور التي لا تعرفها عنا وضوا بطننا وشروطنا.

• ومتى سنبدأ؟

- المحارب لا يسأل هذا السؤال، فأنت الآن أصبحت محارباً
- قم يا معزز.
- الوقت ليس وقت شيء، ساعة الثالثة الليلاً.
- قم، أنت من اخترت، وهذه ضوا بطننا.
- سنبدأ في المرحلة الأولى، وهي حمل السيف.
- أعرف حمل السيف.
- حملة على طريقتنا، وليست طريقتك.
- حاضر يا معلم شوان.
- ستصيب تلك الشجرة في تلك النقطة الحمراء.
- تلك بعيدة.
- المحارب يفعل ما يؤمر به دون اعتراض.
- يا ويلى، مالذي أوقعت النفسي فيه؟
- بعد اكتمال الشهر في أرض المدرب شوان:
- كيف أصبحت يا معزز مع التدريب؟ قد أصبحت تتمتع بقوة كبيرة.
- مع أنك لم تلبث كثيرًا مع التدريب.

- نعم، أصبحت أمتلك قدرات كثيرة شبه خارقة، وأصبحت أتسلق الجبال والأشجار في وقت وجيز، وأصبحت أيضاً رماة ماهرًا.
- ستحتاج إلى الكثير من التدريب لكنك لا زلت بحاجة للكثير.
- نعم، لا زلت تتعلم وتحتاج إلى المزيد من التدريب.
- سأستمر في التدريب بجدية.
- هل مرام هي حبيبتك؟
- لا، ليست حبيبتي، ولكنني شعرت بالشفقة تجاهها، كانت دائماً تبكي وتئنم، ولم تجد من يُغيثها.
- ربما تصبح حبيبتك في المستقبل إذا تم تحريرها.
- لا أظن، أنا لست فارقًا إلا تلك الأشياء حتى يجعل الله لي سبيلًا.
- ما هو ذلك السبيل الذي تتحدث عنه؟
- الشهادة.
- لم تحدثني عنكما، أنت يا مسطر، أول ما أريد أن يبدأ.
- أنا كنت أعيش مع والدتي بعد أن تركنا والدي، وختار مطاردة الأسود والمشي في الحروب حتى مات.
- أصبحت أسكن مع شوان وأعمل معه في تدريب الطلاب.

- لماذا لم تعلمني؟
- لأنك لم تكن كطلاب المبتدئين، وكانت لديك علامات تأهلك
- أنت جميل الاسم، أربع، ويبدو أنك تحمل العديد من الصفات التي تشترك مع شوان.
- لست مضحكًا، أنا لا أعرف شيئًا عن والدي ولا أمي، فقد تركاني صغيرًا عند بوابتي الدار شوان، فأخذني ورباني حتى كبرت. وكنت كلما سألته عن أمي وأبي لم يجبني.
- ستجدهما إن شاء الله، فقد يكونا يمران بظروف صعبة مما جعلهما يخافان عليك، حتى دفعتم الظروف أن يضعاك في مكان يعرفان أنك ستكون فيه آمنًا. لا أظن ذلك يا معتز، فليس هناك أحد سيترك ولده ويذهب عنه.
- يجب أن تحسن الظن، فأنت لا تعرف حالهم وما قد دفعهم لأن يفعلوا ذلك.
- بالمناسبة، مسطر قد أخفي عنك شيئًا مهمًا في حياته.
- لا أظن أن مسطر يستطيع أن يخفي عني شيئًا.
- إذا أسأله عن اللتي كان مولعًا بها ومولعته بها وسبب حتى فترقي، وعن تلك الأشعار التي يظل يسامر نفسه بها تحت سواد الليل.
- لماذا لا تتحدث يا مسطر؟ أم أن ما قاله مربع الصحيح؟
- نعم، هو الصحيح.
- ولماذا لم تخبرني؟ أم أنني فقط أنا من كنت اعتبرك صديقًا؟

• ليس ذلك يا معزز، وإنما لم أحب أن أذكر النفسي بها أو أن أزيد حزنك بأمر ليس لها معنى لك.

• كيف ليس لها معنى لي؟ ما يهكم يهمني، وما يحزنك يحزني. أعتبرك مثل الأخ قبل الصديق، وقد كنت في وحدة وظلام أيام لا يعلمها إلا الله، حتى تعرفت عليكم فأنرتم دربي وأسبلتم طريقي وأعطيتم لحياتي معنى بعدما كنت كل يوم أتمنى الموت. وأشكركم على أنكم عرفتماني على شوان، الذي جعل مني رجلاً صنديداً يستطيع تحريك الجبال بإرادته أولاً وبقوته ثانياً. وصدق القائل حين قال: 'لا حياة بدون صاحب'.

• ونحن كذلك يا معزز، فنحن اليوم كظلك الظليل، تلجأ إليه إذا شدت عليك الدنيا، فيكون لك عوناً.

• لا أظن ذلك، ولو كان كذلك، لما كنت لأن لا تزال تخفي عني.

• حسناً، سأخبرك. قد تعرفت على أنثى اسمها وسن تعرفت عليها بعدما كنت أبحث عن شيء أصطاده، حتى لقيتها عند بحيرة تشرب منها. فمكثت وقتاً حتى انتهت من الشرب. وعندما رأيتهما، ظننت أنني أنظر إلى حورية عين، كانت من حسنهما لا يوصف. تبادلت معها أطراف حديث، فكان الحديث معها لا يمل، وكان ضحكها يشفي المريض قبل المرض.

ضاحكاً يا مسطر، أراك قد وصفتها بشكل مبالغ فيه.

كل حبيب بحبيبه معجب، ولو وصفتها بالحورية الما قصرت، كانت كالملاك لا تعاب ولا تُحزن. تمشي على أطراف الحديث فلا تمل. إذا ضحكت كان ذلك أعجب، وإذا تبسمت فمالي والدنيا أفقه، وإذا غضبت كان غضبها حليماً، فلا

تحس، كنت أصطاد فأصبحت المصطاد، اصطادتني تلك الأنثى بنظرة، حتى أصبحت لا أرى غيرها، همت بالرحيل، فلما همت هممت، فقالت: "إلى أين تلجأ؟"، فقلت: "إلى قلب أراه متمكنًا من قلبي، وليتني ما أحببت".

• تحب من النظرة الأولى؟ فهذا ليس حبُّ

• وما دراك بقلبي؟ وقلبي بالأسى يعذب، بعد أن كنت مليئًا بالحياة والروح، أنشط، فنظرة أعقبت حسرة في قلبي، وليتني لم أنظر، وما أشقاني حين نظرت.

• وما اسمك؟

• أسمي مسطر.

• على ماذا سطر؟

• على قلبك، فسم علي قلبك مسطر.

• قد بالغت، يا مسطر.

• ولا أظن أن أسم قد ذكر إلا حين ذكرته فذكر.

• ما بالك تطيل الحديث ولا أراك قد ذكرت حلا حتى نفهم؟

• ما سمك؟

• وهل يعني لك أسم شيئًا؟

• نعم، كثيرًا.

• اسم وسن، وأظن أني سأذهب، فقد أظلت.

• هل تستطيع أن أراك هنا غدًا؟ لا أظن

وبعد سكوت اجابتي بنعم

• نعم، أراك هنا غدًا.

• فكدت أظير من الفرح، ولولا عيونها التي جعلتني أتمكن.

وأمضينا زمنًا نلتقي، نتبادل أطراف الحديث، وتعرفنا على بعضنا أكثر، حتى جاء ذلك اليوم المشؤوم، حيث قتلت خيلها بدون قصد، وكنت أريد حمايتها من شخص كان يهيم في قتلها، فأطلقت عليه سهمًا فأصاب رغبة خيلها وهرب من كان يريد قتلها، فقضبت مني وعزمت ألا ترى وجهي أبدًا، ورحلت هي وأهلها، وقلبت الأرض ولم أجدهم.

• أو تخطئ، يا مسطر، في الرمي.

• لم أخطئ من قبل تلك المرة، ولم أخطئ بعدها، فلم أفهم ما أصابني حتى أصبت خيلها.

• إذًا، إنسها.

• يبدو أنك لم تحب من قبل.

• لا، والله، ولا أريد أن أحب.

- أعرف ذلك، ولو كنت أحببت من قبل لم قلت ذلك، فليس على القلب السلطان، لماذا لا تقول لشوان أن يعلمك الحديث مع الحيوانات والطيور؟
- وهل يستطيع أن يتحدث مع الحيوانات؟
- نعم، عن طريق التأمل يوصل أفكاره لهم، وأيضًا يصلون أفكارهم له، ولهذا يطيل في التأمل؛ لأنه يتحدث معهم.
- وكيف أستطيع التحدث معهم؟ وهل جربتم ذلك؟
- قد قلتها له لكن لم أكن أملك القوة الكافية من التأمل حتى أستطيع التواصل معهم، ولهذا تستطيع تجربة؛ فيمكن أن تكون لديك القدرة الكافية.
- يبدو أن شوان ينادينا.
- مرحبًا، سيدي شوان.
- أهلاً، يا أولادي، ماذا كنتم تفعلون اليوم؟
- كنا نتبادل أطراف الحديث مع بعضنا، حتى ناديتنا أنت.
- يعني أي قطعت حديثكم؟
- لا، قد انتهينا من الحديث.
- حسنًا، عندكم عمل اليوم شاق، ويجب أن تفعلوه.
- نحن تحت أمرتك، فطلب منا ما تشاء.

• بما أنكم اخذتم من التدريب الكافي مما يؤهلكم إلا أن تفعلوا هذه المهمة، ستذهبون إلى ملك الكهف وحضري له هذه الريشة واحتفظوا بها، فهي ليست كأى ريشة تستطيع سماعكم وتنبئكم، فلا تستهينوا بها.

• حقاً، هناك كثير من الأسرار، كيف يمكن للريشة أن تنبه، وقد أخبرني أيضاً أنك تتحدث مع الحيوانات، وأنت تستطيع جعلي كذلك.

• أنت من يستطيع جعلها؟

• هل فهمت شيئاً مما قال؟

• أظنه قال لك أنك أنت من تستطيع جعل نفسك تتحدث معهم، ويعني أنه رأى فيك تلك الميزة، وإذا كانت قوية، فلا يحتاج إلا أن يساعدك على امتلاكها، بل تحتاج نفسك. لنذهب قبل أن تغرب الشمس، فالطريق طويل.

• لم أفهم شيئاً، ولكن سأحاول، فقد يكون الأمر الصحيح.

• إلى أي الطرق سنسلك؟

• هذه الطريقة، وسنمر على تلك البحيرة التي كنت أجلس عندها أنا ووسن، حتى نشرب منها.

• تعرف أنه لم يحملك إليها العطش، وإنما وحشة المكان وتذكر الزمان؟

• قد يكون ذلك.

• ومن هو ملك الكهف؟

• هو أحد الملوك العظماء الذين لا يرحمون ولا يخافون، عنده من الجنود ما لا تستطيع أن تصفه العين، من الإنس والجن، وكلهم ينتظرون منه كلمة، فقد كان صاحبي وأحد تلاميذ المعلم شوان، وكان يشارك معنا في تدريبنا عندما أحضره والده الملك إلى شوان ليعلمه فنون القتال، حتى يستطيع تولي الحكم بقوة، وعندما توفي والده، تولى الحكم فكان من القادة والملوك الذين لا يقهرون، لذا عشت معه تلك الأيام، وتمكنت من حيلتي فأصبحت أعمل مع شوان في تدريب بعض الطلبة المبتدئين.

• وأنت، أربع، أسمك جميل، فقد أخذت كثيرًا من صفات رأسك.

• لست مضحكاً يا معزز.

• وهل كان يتحدث مع الحيوانات والطيور؟

• تلك الخاصية تمتع بها فقط شوان، عن غيره، أنظر إلى البحيرة، لقد وصلنا إليها ما أقصر الزمان وما قبح الدنيا.

• قل لي يا مسطر، ما هي أمنيتك؟

• هي أن ترجع إلي وسن ونعيش معاً حياة جميلة وننجب أطفالاً يشبهونها.

• وأنت، يا أربع؟

• أريد أن أرى والدي وأمي، فلا أستطيع وصف الشعور الذي فيه، وأنا لم أرهم من قبل، ولا أستطيع وصف شعوري حين ألتقي بهم.

- لكل منكما أمنية مختلفة عن الآخر، فسبحان الله الذي جعل في كل إنسان أمنية حين وصل إلى الدنيا.
- وأنت يا معتر، أو أسميك بأضحية الزمان، فأراك تكثر الكلام عن هذه الكلمة؟
- سمني ما شئت.
- من هنا، علينا أن نفتح أبصارنا وأذاننا، فقد أظلم الليل، والغابة مظلمة، فعلينا أن نكون في حذر من أي شيء قد يعيق طريقنا، فالطريق من هنا محفوف بالمخاطر.
- ما الخطر؟
- بالوحوش والجن، لا يطيعون أمر ملك الكهف، فأصبحوا يسكنون هنا يطلبون عفوه.
- ولماذا لا يعاقبهم على معاصيهم؟
- ألا يكفيك أنه ابعدهم عن خدمته وذلمهم بعد ما كرمهم؟
- وهل هو ساحر؟ ولماذا تسمونه بملك الكهف؟
- لا، ليس ساحراً، إنما له جند من الإنس والجن، ويسمونه بملك الكهف لأنهم ينحتون من الجبال بيوتاً فرهين، ولأن قصره في كهف.
- يعني أنها مدينة الكهوف؟
- نعم، ولهذا يسمون أيضاً بملوك الكهوف.

- ومتى سنصل؟ فقد تعبنا.
- عند شروق الشمس.
- لا يمكننا أن ننتظر حتى طلوع الشمس، فقد أخذ منا التعب مبلغاً
- انتظر حتى نخرج من الغابة فالنوم فيها مستحيل، فهي خطر.
- "حسناً، لنخرج منها فأرى أن اربع قد نام وهو في المشي."
- "لسنا بعيدين عن خروجها، فهناك بحيرة وراء الغابة نستطيع أن نستحم فيها وننام عند ظهرها، وأوصيك بشيء يا معتز."
- "كن أذان الساقية."
- "إذا استيقظت على عيون فوق وجهك تنظر إليك لا تستطيع أن ترى إلا عيونه البيضاء، يبتسم لك بأسنان صفراء، فلا تتحرك وتمثل بأنك نائم."
- "وما هو ذلك؟"
- "تلك خادمات الساحرة التي تسكن في منطقة البحيرة، وإذا نظرت في عينيها ستأسرك عندها."
- "وما هو الحل؟ لا تنظر إلا عينيها، تجاهل نظرتها كما تتجاهل ماضيك، واعلم أن النظرة واحدة منها قد تأسرك مدي عمرك، فتلك الساحرة لا يوجد أحد أقوى منها أو يستطيع مواجهتها.
- حسناً، قد خرجنا من الغابة وقد وصلنا إلى البحيرة."

- "لنسيح."
- "وأنت يا أربيع، ألن تسبح معنا؟"
- "لا أظن ذلك، فقط اخذني النعاس."
- "لنرى يا مسطر، أي منا سيصبر أكثر تحت الماء."
- "حسنًا، ومن صبر كثيرًا يأمر صاحبه. أن يقبل يده ويقول: 'يا مولاي، أمرني!'"
- "ضاحكًا. حسنًا."
- "مضت ساعات وانتشر الضحك في المكان حتى أتتنا عجوز قبيحة المنظر."
- "لقد أيقظتmani من نوم، وسأحاسبكما على فعلتكما."
- "لا تجيها يا معتز، فهي عمياء لا تستطيع أن ترى، فلتلتزم الصمت والحركة حتى ترحل."
- "يبدو أنها قد رحلت، فقد توعدتني بكثير من التهديد."
- "نعم، مادامت لم تسمع صوتنا فلا يهم وعدها."
- "لننام، فقد تأخر الليل وأصبح فجره مشرقًا."
- "لا تنسى ما قلت لك عن خادمات الشيطان الساحرة، فسترسل الكثير من خدمها إلى هذا المكان، فقد سمعت أصواتنا فيه."

• "قد هم الفجر على الطلوع بين عشية وضحاها. الطلع الفجر معلناً عن يوم جديد، استيقظ اربع وأهم علي أن يوقظ معتز ومسطر، لكن قد اخذهم النوم من الشدة التعب فلم يستيقظا إلا على حرارة الشمس التي أحرقتهما.

"بينما كان اربع يستمتع بالسباحة التي لم يتمكن من الاستمتاع بها البارحة بسبب الشدة التعب.

قاما بالنهوض بعد أن خففا أذرعهما بين الماء والشمس. بعدما صعب عليهما الدخول، وجدا مسطرفتاة يعرفها جيداً، فأباحت لهما بالدخول."

- "من هذه الفتاة، يا مسطر؟"

- "إنها صديقة لي منذ زمن طويل لم نلتق."

- "مرحباً بصديق الودود، أهلاً وسهلاً."

- "مرحباً بملكنا الموقر المطاع.

- "رأيت عليك أمراً لا يغفر."

- "العفو يا مولاي ويا صاحب."

- "كيف حالك يا اربع؟"

- "بخير، اشتقنا لك."

- "هذا معتز، صديق لنا."

- "وصديق لي أيضاً."

- "بالطبع، قد حدثني عنك مسطر، أحاديث تسرو عن أيامك مع المدرب شوان التي كانت أيامًا لا تُنسى."
- "ولا عندي يا معتر، مما جعلني أشتاق وأتحمس للقاءه، قد حللتهم سهلاً ومرحباً."
- "تفضلوا، فأنتم في ضيافة صاحبكم، وطلباً ما شئتما إلا النساء."
- "لا توصي، فمسطر قد أغلق قلبه على فتاة، وأربع لا أظنه يفكر في ذلك يوماً، وأما أنا فعندي ما هو أكبر."
- "وما هو ذاك؟"
- "نأري وقاتل أبي، وتحرير مرام التي دموعها لا تنضب."
- "ومن هو القاتل؟"
- "أحد الملوك الظالمين."
- "ومن هو ذاك؟"
- "ملك الغاية."
- "نعم، سمعت عن ذلك الملك وظلمه، وكنت دائماً أتوق لحرب معه، لأرده عما فيه
- "نعم، فقد أذل أناساً وقتلهم وتركت دياره هناك، لأجد من يعينني على الحرب."
- "سهل الله عليك، ولهذا تمتنعان وتقولان أنكما لستما أهلاً للنساء."
- "بلى، لكن لسنا أهلاً لكي نجعلهن متعة، نأتي إليهن في وقت حاجتنا ونرحل عندما لا نحتاجهن"
- "معك الحق."

- "كيف حال شوان؟"
- "بخير، قد أوصانا أن نبلغ لك سلامه."
- "هل ستنامون مع الليلة؟"
- "لا أظن، فقد أعزمنا على العودة مباشرة."
  
- "حسنًا، عاودوا زيارتنا، وأنت يا معتز، قد تشرّفت بمعرفتك، ومنتظر زيارتك لنا أيضًا."
- "نستودعكم الله."
- "هممنا على الرحيل بعدما تعرفنا على ملك وتلميذ شوان، أظن أنه حان لنا أن نهض ونقوم بأمرنا ومطلبنا في هذه الدنيا."
- "وما هو، يا معتز؟"
- "هو ثأري وتحرير مرام."
- "إذًا، عليك أن تكمل تدريبك حتى تستطيع مواجهته، وتركز حتى تستطيع التحدث مع الحيوانات، فقد يساعدك ذلك كثيرًا."
- "سأبذل قصارى جهدي حتى أصبح جاهزًا لمواجتي كل عقباتي."
- "سنستعين بطريق مختصر قد يعيدنا بأسرع وقت."
- "بعد مرور الشهر وتعلمي من الفنون ما كنت بحاجة إليه في الأيام القادمة، أصبحت قادرًا على فعل أشياء كنت أتمناها مثل تسلق الأشجار والمحاربة، حتى أنني أستطيع القتال بمغمضي العينين."

- • "نعم يا معتر، حان لك أن تخوض حريك وتبين لهم أنك القائد القادر، وحان الوقت لمرام لتتحرر من عذابها المظلم."

- • "نعم يا مسطر، قد حان وقتها. ولولاكم لم استطعت تجاوز أيامي المظلمة وذكريات الألم، في الحزن وقسوة الأيام ستجد أصحابا يحبونك يمسكون بيدك في تلك الظلمة ويخبرونك أن لأيام لا زالت جميلة وأن الحياة لا زالت تستحق أن تعطى لها فرصة لتعيشها بطموح جديد وإرادة مولعة بالحياة الجميلة، لكن أنت هو المسؤول عن حلوها ومرها. كل إنسان يعيش في نظرتة في الدنيا، نستحق أن نعطي لأنفسنا فرصة لتصحيح أخطائها. الحياة جميلة مع الأصدقاء والأحباب الذين يحبونك حتى في أسوأ حالاتك وينسونك ما قد يؤلم قلبك. الأجل هو أن يعوضك الله بأناس يكونون لك أهلاً وبيتاً، والأصدقاء هم العوض بعينه.

- هل تتذكريا مسطرويا اربع ذلك اليوم الذي لقيتكم فيه؟ كنت أعيش في بيت لوحدي، أعيش في وحدة لا يعلمها إلا الله. من شدة الوحدة، أصبح جسي عنده برنامج زمني، حتى أستطيع العيش. كنت أنام النهار بأكمله وأستيقظ في الليل، فأقضي تلك الليلة بين البكاء. مرة أمشي إلى البحيرة، التي معها ذكريات الطفولة لا تنسي. أقف أحيانا عندها، أقول في نفسي: 'يا نفس، أتتذكرين أيام الطفولة؟ أيام لم نعرف للحزن مسلماً حين كنا مليئين بالحياة، التي جعلنا نل نظر إلى الدنيا كأنها جنة.' يوم كان يرضينا القليل، وبيكينا القليل. يوم كنا نمشي على أطراف الدنيا كأننا فراشة خرجت في يوم قد نزلت فيه المطر، لتلبس الأرض ثوبها الأخضر. وكنا نضحك ونتمنى من الأماني أجملها ونوقد النار على أسوأها، نسابق

الأحزان قبل وصولها! حتى أتى ذلك اليوم الذي جعلنا نعيش أسوأ الحياة، حين تقلبت علينا الدنيا كأنها تخبرنا: 'قد كبرتم وحن لكم أن تعذبوا!'

- انتهت تلك الأيام الجميلة وضحكات الطفولة، وبدأت أيام جديدة، مليئة بالمسؤولية، مليئة بالهموم. تسابق العمر والأيام والزمن والدهر، والمسؤولية قد بنت على ظهرك بيتها وحننا قد أخذ على ظهرك أيضاً. مسكنا ليخبراك: 'نحن من اليوم رفاقك وعز دربك. تحاول أن لا تجعل الهم عندك مقاماً، لكنهم يصطحبون صديقاً جديداً سيحضر انه معهم بعدما ستوحشانه!'

- حان أن يأتي دورك، وذاك الصديق هو البكاء، بدلاً من أنك كنت تضحك من غير سبب، يصبح بكائك من غير سبب. أه يا معتز يا اربع، لو كنتم تعلمون حين تركني والدي وأنا في عز طفولتي، وحين تركتني والدي في عز الشباب، أصبحت أرى أن الدنيا ليست فيها ما يجعلني أعيش غير جدي الذي قد أسندت عليه الظهر بعد ما نكسر. حتى أتى ذلك اليوم ليكون فيه رحيله، حين استيقظت على أصوات تناديني وكأنها لا تجد نفساً. نعم، إنه كان جدي، يحتضر ليعلن رحيله عني في ذلك اليوم. وكأنه يقول لي يا معتز، قد حان لك أن تواجه الدنيا وحدك. قد حان لك أن تعيش حاضرک وتجاوز ماضيك. قد حان لك أن تتقلب على من استوطنوا ظهرک وأبكوا قلبك وأعاشوك مراراً. الحياة قد حان لك أن تسند نفسك عليك وليس علي. أن تجعلها حرة لكنها عبارات مارة لا تجدي نفعاً ولا ضرراً.

- عندما عشت وحيداً، أدركت أنه لولا الله ثم أصدقائي، لما استطعت الخروج من تلك الحالة. "نحن معك يا معتر، سنمضي معك في معركتك مهما كلفت. حقاً، لن نترك وحدك". لكنني لازلت أواجه مشكلة، هل تعيني عليهما؟" من أين سأحضر جيشاً لأثقل به عليهم؟ لا بدّ من جيش عدته كبيرة حتى نستطيع أن نتقلب عليهم بسهولة."

- "لا تخف، سنجد حلاً لذلك. فقط ركّز على تدريبك، وبعد عودتك سننظر في الموضوع أكثر ونجد حلاً متفقاً عليه. ونبدأ حربنا، فهي حربنا نحن قبلك. سنأخذ ثأر أبي صديقنا وأبينا. وحتى ولو كان المتطلب

- وإلا أين أنت ذاهب؟

- "عندي بعض الأمور التي يجب أن أفعلها، وسأعود إن شاء الله غداً." "ألا تخبرنا بها؟ إذا كنت تريد المساعدة، فسنساعدك."

- "إذا كنت بحاجة لمساعدة، سأخبرك بها.

- والآن، أعتذر لرحيلي."

- "رافقتك السلامة."

- "أربعة، هل تعرف إلى أين هو ذاهب؟

- • دائماً يمشي ويمكث يوماً أو بعض يوم ويرجع إلينا.

- - لنتبعه لنعرف أين يتجه.
- - دائماً أريد معرفة ذلك ولكنه يرفض أن يقول شيئاً لي.
- - أظنه رحل لنتبعه.
- - أرى الحزن في مشيته.
- - يتجه نحو البحيرة التي لقي فيها حبيبته في ذلك اليوم.
- - لماذا جلس؟
- - أظنه يبكي عليها، لم أجرب الحب من قبل ولا أعرف شعوره، ولكن هناك ما أعرفه وهو شعور الفراق، ذاك الشعور الذي تحس أن الدنيا بأكملها لا تستطيع أن تملئ ذلك الفراق الذي خلفه ذلك الشخص ولو اجتمعوا عليه.
- - لكنه لا يعيش ألم الفراق، إنما يعيش ألم الحب.
- - بل يعيشه فحبيبته قد فارقتة وهذا ألم الفراق.
- - هل نذهب إليه لنواسيه؟
- - لا أظن، فقد يغضب منا لأننا تبعناه.
- - لكنه في حالة يرثي لها، نقف معه ونسانده.
- - إذاً لنتقدم صوبه.
- - مرحباً يا مسطر.
- - لماذا أتيتما؟
- - لم نستطع أن نتركه في هذه الحالة وسنظل جنبك حتى يخرج كل منا من محنته.

- - وكيف سنخرج منها وقد رحلت منذ فترة طويلة؟ ذهبت بقلبي وتركتني أعاني، وقد تكون تزوجت وأنجبت أولادًا وأنا لازلت أبكيها هنا كالأبله.
- - صبرًا يا مسطر، إن فرج الله غريب وستفرج، ألا تحب أن نسبح يا مسطر؟
- - نعم، فكرة رائعة، قم معنا، فقد يخفف عنك.
- - لا، اسبحا أنتما، فإني لذلك لا أقدر.
- - ستسبح يا مسطرو سنسبقك إليها، فتبعنا. لندخل يا أربع، تعال يا مسطر. إلى متى ستظل تبكي وتنظر إلينا وكأنك قتيل أو مقتول؟
- - إذا فتح لي مكانًا بينكم.
- - حسنًا، تعال.
- - هل سنبيت هنا؟
- - نعم، حتى يطلع الفجر.
- - أترون تلك النجمة؟
- - نعم، نراها.
- - تلك نجوم. كنت أجلس جنب البحيرة وأحدث وأقول "ترين حالي"، فتلمع وكأنها تخبرني وأنا أخبرها، يا نجوم، أتري حالي، ضاحكًا قد لمعت.
- - ألا ترون أن لونها يتغير من بياض إلى بياض؟
- - نعم، لقد لاحظنا ذلك.
- - جميلة هي. سباحة من سفري، ادخل في الماء واستمتع باللعب حتى ينقضي وقت من وقتي دون أن أحس.

- • والجميل في ذلك حين تكون تلك البحيرة تحمل معها ذكريات تطرب، فتكون كأنك تسبح في تلك الذكريات وليس في ذلك الماء.
- • ضاحكاً تحس بذلك الشعور.
- • كنت أحس به وكنت أظن أنه يقتصر عليّ.
- • نعم، أحس به.
- • يا مسطر، تري أنّ أربعمًا لا يحدّثونا عن أيّ أحزانهم أو أنّه ليس له حزن؟
- • ليس ذلك يا مسطر، إنما حزني قد عاد عليّ قلبي.
- • وما هو نوع حزنك؟ يا ربع، الوحشة؟ اشتاق إلى أحضان أمي وأبيّ اللذين فارقوني في صبايا.
- • أرى أن أحزاننا متنوعة، أنا ألم الفراق، ومسطر ألم الحب، وأربع ألم الاشتياق والوحشة. لكل شخص في هذه الدنيا ألم وحزن يخبأه أمام نافذتي عينيه. ترى وجهه يرسم عليه ابتسامة وتظنه أسعد الناس، لكن كل شخص أضحية زمانه، كل شخص يخبأ وراءه قصة يرويهها عليه أفكاره في كل ليلة حتى ينام تذكره أنه لا زال في الدنيا، فلا تغرك بتسامة أحد، كما غرتني، لأنّ ابتسامة أربع.
- • الصادق القائل كلامك معه حق. قد تأخر الليل علينا، فنحاول أن نسري حتى نصل في أول الوقت، حتى لا يلاحظ شوان غيابنا، لدي بعد النظريات والتدريبات المهمة تصبحون على خير يا جماعة.
- • استيقظ، ألم تنم؟
- • لا، كنت أفكر في مرام وكيف سأجمع الجيش حتى يحارب معي.

- • لا تقلق، سنجد لك حلاً. والآن لنذهب.
- • المدرب الشوان، هل يستطيع مساعدتي في ذلك؟
- • مساعدتك في ماذا؟
- • أهلاً يا مدرب الشوان.
- • كان يقصد مساعدته في أن يخلص تدريبه بسرعة.
- • سنتهي غداً، ولكن قبل أن تذهب، عندك مهمة ستنفذها أنت وحدك حتى تستطيع أن تصبح محارباً. هناك محارب واحد هو أنا وقد ورثته من أبي، وبما أنني الآن ليس عندي ولد، فقد كنت أبحث عن صفات حتى أضع فيها قوة أسرتنا. بحثت في كل التلاميذ حتى رأيتك أنت، فعرفت أنك هو صاحبها. لكن عند انتهاء التدريب، هناك مهمة صعبة، إذا تخطاها المحارب المختار، فقد أصبح محارباً من الدرجة الأولى. وتلك المهمة قد خضتها أنا عندما دربني والدي وأمرني بإحضار السيف.
- • وهل نجحت فيها؟
- • نعم، لكن بصعوبة. ليست سهلة وقد تؤدي بك إلى الموت سنخبرك بها عندما يحين الوقت، أظن أنك مختلف عن بقية المحاربين.
- • لكني يجب أن أسرع، فقد مكثت كثيراً عن مرام وثأروالدي.
- • لم تمكث، فكل شيء في هذه الدنيا يأتي في وقته المناسب فلا تستعجل.
- • ومتى تبدأ المهمة؟

- عندما يأذن لي. فقد يأذن لي الليلة أو غدًا، أو حتى الآن، وعندما تأخذ سيفك الذي نقش عليه اسمك، يأتيك معه ألفان محارب يطيعون كلمتك ولا يعصون أمرك.
- حقًا، كنت أبحث عن جيش حتى أستطيع أن أحارب به ذلك اللميح، وكنت متحيرًا أين سأجد من يقبل المحاربة معي.
- أنا تأرك أهم عندي، وأنا معك حتى تأخذ تأرك. هل رأيت مرام من قبل؟
- لا.
- ولماذا كل هذا الانشغال بها وبإنقاذها؟ من يسمعك يظن أنها حبيبته.
- لا أعرف، فإني أحس قلبي يميل إليها دون أن أحس. وأحيانًا أحس أنني أشتاق إليها أشد الاشتياق حتى يخيل لي أنها تقف أمامي.
- إذن، تحبها؟
- لا يا معلم، لا أظن أنه حب. كيف تحب من لم تره بعينك؟
- كل ما هو أن ما قلته لي علامات العشاق. عليك أن تصبح جاهزًا، ففي أي وقت قد يقوم إليك النداء للمهمة. واعلم أن خسارتك فيها هي خسارتك لتأرك وإنقاذك لمرام.
- كيف ذلك يا معلم؟
- لأنك إذا لم تنجح فيها، فإنك لن ترجع إلينا.
- إذا كان كذلك، فإني لن أقوم بالمهمة.
- إذًا، يعني أنك لن تأخذ أيضًا تأرك وتنقذ مرام.
- بلى، سأخذ تأري.

- - ستضعف ويأخذ منك كل قواك، ولن تجد من يحارب معك. فلا بد لك أن تضحي حتى تأخذ ما تريد. فأحياناً يكون ذلك لزاماً علينا.
- - وهل تستطيع مساعدتي؟
- - إذا لم تساعد نفسك، فلن يساعدك أحد. قد أعطيك بعض المعلومات التي قد تساعدك.
- - من سمع كلامك يظن أنني سأذهب الآن.
- - ومن قال لك أنك لن تذهب الآن؟ عليك أن تقوم من مقامك هذا وتذهب.
- - إلى أين؟
- - قد أذن لك.
- - وكيف أذن لي في هذه الساعة، مع غروب الشمس؟
- - عليك أن تقوم من مقامك يا معتر، فهم يسمعونك.
- - ومن هم؟
- - أرواح المحاربين.
- فالمحارب لا يتردد، وهم لم يرسلوك إلا عندما علموا أنك أصبحت مؤهلاً وجاهزاً للمهمة سأعطيك بعض النصائح التي قد تساعدك: يجب عليك أن لا تنظر لورائك ولا إلى جانبك، وإذا وصلت إلى أرض شديدة الاحمرار، فحاول أن تسرع من مشيك، فهناك من قد بأسر إذا رآك، ولا تنظر إلى من يمشي معك.
- - ومن هو الذي سيمشي معي؟ أنت تخيفني بكلامك هذا.
- - ولا تنظر إلى وجهه.
- - لا أظن أنني سأفعل هذا.

- إذا لا تريد تارك ولا إنقاذ مرام. امض يا معتر، فهو ينتظرك.
- من هو؟ أخبرني، وإلى أين سأذهب؟
- لا أعرف، فكل محارب عنده وجهته الخاصة به ووجهتنا ليست واحدة. سيدلك على الطريق، ولا تكلمه حتى ولو كلمك.
- ما أشقني حين أتيتك.
- ستفرح حين تنجح في المهمة يا معتر. امض إلى سبيلك
- حسنًا، وبينما أنا على هذا الحال، رأيت أحدًا أبيض الثوب، عبس الوجه، وكأنه يخفي شيئًا. أمضيت معه، فلم يتكلم أو يقل أي حرف، حتى وصلنا إلى أعلى جبل دون أن نصعده. فالتفت إليه، فإذا عيناه تشعان نازًا، فقال لي: اقفز. فحاولت رفض، فتذكرت قول المعلم شوان: أن لا تجادله في أمر قاله لك. فقفزت، فإذا بي أدخل أرضًا بغلاف وجو غير الذي كنت فيه، حتى حملني طائر وأنا في سقوطي، حتى وضعني أمام قصر عظيم. فخرجت امرأة شديدة الجمال والبياض. تقدمت إليهما في خوف، حتى وصلت إليهما، فكان يقف جنبها رجال أقوياء أشداء.
- مرحبًا بك يا معتر.
- من أنتم؟
- أرض المحاربين، وعندك بعض الأعمال، وعليك أن تفعلها على أكمل وجه.
- وما هي تلك المهام؟
- ستذهب لأخذ سيفك، وسترافقك المحاربة جمعة اذهب، فليس عندك كثير من الوقت، يجب أن تخرج قبل طلوع الفجر.

- - وأين هي المحاربة جمعة؟
- - ستجدها أمامك تنتظرك.
- - وإلى أي طريق أذهب؟
- - إلى حيث يختار فكرك.
- - اخترت طريقًا وكأنه يشع النور، فناداني صوت أنثوي لين بكلمات لم أفهمها أولاً، حتى فهمتها في الأخير، فكانت تقول: المحارب معتر النوار. وكان كأنه يكرره على أشخاص. تابعت الطريق، فإذا بطريق قد سد، فحاولت الرجوع، فإذا به مسدود، حتى انفتح باب كاد يعمي بصري من شدة نوره. خرجت فتاة وكأنها تشير إلي بالقدوم، فدخلت من الباب، فإذا أرض خضراء لا توصف من الشدة جمالها. كانت الأزهار تتفتح حولي، والأشجار تملأ المكان. تقدمت نحو الفتاة التي كانت تشير إلي، فابتسمت وقالت:
- - أهلاً بك يا معتر، لقد وصلت إلى أرض المحاربين الحقيقية.
- - ما هذه الأرض؟ ولماذا أنا هنا؟
- - هذه الأرض هي المكان الذي يجب أن تختبر فيه نفسك وقوتك. عليك أن تثبت أنك تستحق أن تكون المحارب
- - ماذا يجب أن أفعل هنا؟
- - ستجد أمامك ثلاثة تحديات. عليك أن تجتازها كلها حتى تحصل على سيفك وتكمل مهمتك.
- - وما هي هذه التحديات؟
- - عليك الآن أن تبدأ بالتحدي الأول.

• أين هو؟

• اتبع هذا الطريق حتى تصل إلى ساحة القتال هناك ستجد أول تحدٍ بانتظارك.

- بدأت المشي في الطريق الذي أشارت إليه الفتاة كان الطريق محاطاً بالأشجار العالية والأزهار الجميلة. كنت أشعر بالرهبة والخوف من المجهول، لكنني كنت مصممًا على إكمال المهمة والعودة بثأري وإنقاذ مرام.

- بعد مسيرة قصيرة، وصلت إلى ساحة واسعة في وسط الساحة كان هناك سيف مغروس في الأرض، وحوله دائرة مرسومة على الأرض. تقدمت نحو السيف، وعندما وصلت إليه، سمعت صوتًا عميقًا يقول:

• أيها المحارب، هذا هو تحديك الأول. عليك أن تنزع السيف من الأرض وتقاتل به خصمك.

- نظرت حولي فلم أجد أحدًا. كنت متحيرًا، لكنني تقدمت نحو السيف وأمسكت بمقبضه. حاولت سحبه من الأرض، لكنه كان مغروسًا بقوة. استجمعت كل قوتي وجذبت السيف بقوة، فخرج بصعوبة.

- فجأة، ظهر أمامي محارب ضخم يرتدي درعًا لامعًا ويحمل سيفًا كبيرًا. تقدمت نحوه مستعدًا للقتال، وبدأت المعركة. كانت ضرباته قوية وسريعة، لكنني كنت مصممًا على الفوز. تذكرت كل ما علمني إياه المعلم شوان، واستخدمت كل مهاراتي في القتال، بعد معركة طويلة ومرهقة، تمكنت من توجيه ضربة قوية إلى خصمي أطاحته أرضًا عندها اختفى المحارب، وسمعت الصوت العميق مرة أخرى يقول:

• أحسنت، لقد اجتزت التحدي الأول. الآن عليك التوجه إلى التحدي الثاني.

- 
- بدأت أتقدم في الطريق مرة أخرى، وأنا أشعر بالإرهاق، لكنني كنت عازماً على الاستمرار. بعد مسيرة طويلة، وصلت إلى بحيرة صغيرة. على ضفاف البحيرة كان هناك طائر ضخم بأجنحة ذهبية. تقدم الطائر نحوي وقال:
  - • أمها المحارب، هذا هو تحديك الثاني. عليك أن تعبر البحيرة باستخدام جناحي.
- 
- كنت متحيراً، كيف يمكنني استخدام أجنحة الطائر؟ لكنني تذكرت ما قاله المعلم شوان: "لا تخف من المجهول، وكن دائماً مستعداً للتحديات" تقدمت نحو الطائر، وفجأة شعرت بنفسني أطيّر في الهواء. كان الطائر يحملني بجناحيه عبر البحيرة شعرت بالخوف، لكنني كنت واثقاً أنني سأجتاز التحدي.
- عندما وصلنا إلى الضفة الأخرى، أنزلي الطائر فرأيت أقواماً منحنيين يعطون خوفاً لمن يرى ولمن لا يرى، خرجتُ من الكهف فإذا بتلك الفتاة واقفة تنتظرني.
  - • مبروك لك النجاح في مهمتك، سنعود إلى الأميرة لتعيدك إلى أرضك.
  - • وماذا عن جيشي؟
  - • سيذهب معك ويحل في كل أرض حللت فيها.
  - • وصلنا إلى تلك الأميرة وكان الفرع يسري على وجهها.
  - • مبارك لك أمها المحارب، سنعيدك الآن إلى أرضك.

- فإذا بطائر ضخم الذي أحضرني يحملني ليرجعني، فوضعتني على الجبل، فإذا بذلك الشخص لا زال واقفاً في مكانه وقد ظهرت عليه ابتسامة.
- فرجعنا من طريقنا حتى وصلنا، فإذا بالمعلم الشوان مبتسماً وسعيداً.
- مبروك يا معتر، أنت الآن محارب من الدرجة الأولى.
- وأنت يا معلم، من أي الدرجة؟
- من الدرجة الثالثة.
- وهل عندك جيش مثل ما أعطوني؟
- الجيش لا يكون إلا عند صاحب الدرجة الأولى.
- وأين هو؟
- ما نهيت حديثي حتى سمعت صوتاً ينادي: "نحن تحت أمرك"، فنزل طائر على كتفي وقال: "أنا تحت أمرك"، فقلت في نفسي: هذا ما سيساعدني على ما أريد. رحل الشوان وبقيت أنا وذلك الطائر، فقال: "أطلب ما تريد، أنا تحت أمرك".
- أنا تحت أمرك وسأفعل لك طلبك، فأذن لي.
- أذنت لك، ألقىبت النفس من الشدة والتعب حتى طلع الفجر، فإذا بمسطر وأربعة عند رأسي، يبتسمان.
- قد اشتقنا لك يا معتر.
- وأنا كذلك.
- فرحنا بنجاحك في مهمتك.
- وأنا كذلك، لقد كنتم دائماً بجانبني في رحلتي.

وأدركت أن النجاح لا يكتمل إلا بالتضحية والدعم الذي يقدمه الآخرون. وبهذا الإحساس بالتواصل والتعاون، استعدت للمهمة التالية، متأكدًا أنني لن أكون وحيدًا في مواجهة التحديات المستقبلية

وبهذه الروح المعنوية العالية، وبثقتي الكبيرة في فريقتي ودعمهم، انطلقت في رحلتي الجديدة، مستعدًا لمواجهة أي تحدي يعترض طريقي. لن يكون الطريق سهلاً، ولكن بالتعاون والإصرار، سأغلب على كل عقبة وأحقق النجاح في مهمتي القادمة، بفضل الله وثقة من حولي.

وفي كل خطوة أخذها، سأحافظ على الأمل والتفاؤل، وسأعمل بجدية واجتهاد لتحقيق النجاح وتحقيق الأهداف التي وضعتها أمامي. فالطريق ربما يكون مليئًا بالتحديات، ولكني مصمم على التغلب عليها بإرادة قوية وثقة لا تتزعزع. وسأبقى ملتزمًا بقيم الشجاعة والصدق والعدالة، وسأستمر في بذل قصارى جهدي لخدمة المجتمع وصنع الفارق الإيجابي في العالم من حولي. وعندما يأتي اليوم الذي ألقى فيه نظرة على الماضي، سأفخر بما قمت به وبالمسار الذي سلكته، وسأعلم أنني قد أترك بصمة إيجابية تدوم في قلوب الناس وذاكرتهم. وهكذا، يستمر الطريق، وأنا مستعد لمواجهة ما يأتي بثقة وإيمان، مع الاحتفاظ بالتواضع والتعلم من كل تجربة.

- بعدما أنهيت مهمتك وتعلمك، متى ستخوض حربك؟
- غداً فجرًا سأسري عليهم فلا يرون إلا الدماء تتطاير، أريد الدعم من صاحب الكهف، يا مسطر، أريد أن يدعمني بجيشه حتى تزداد عدتنا.

- أرسل إليه بالأمر، رجع الطائر.
- قد أكملت المهمة، يا سيدي.
- أحسنت، سأكلمك في تفاصيلها حين نكون وحدنا، أما الآن فعندك مهمة ثانية.
- أنا تحت أمرك.
- ستذهب بهذه الرسالة إلى ملك الكهف ليمدنا ببعض جنوده.
- قد سلم عليك ملك الكهف وقال لك إن مدده قد سبقك.
- والآن يا مسطر، قد اكتمل الأمر، لم يبق لنا إلا أن نخوض حربنا.
- سنذهب لنتجهز لحربنا.
- حسنًا، وأنا سأأخذ بعض التأمل مسرّحًا لفكري.
- مرحبًا يا سيدي، هل تطلب شيئًا؟
- نعم، أريدك أن تذهب إلى ملك الحصباء وتتفقد الوضع.
- حسنًا، سيدي.
- بعد ما شددت الظلمة، جهزت الجيش وضعت على ميسرته أربعًا، وعلى مينته مسطرًا، وأخذت أنا قلب الجيش، فقد عزمت على أن أتيمم الليلة في وقت بكاء مرام، فلا يطلع فجر يوم التالي إلا على يوم جديد ليس فيه حزنًا ولا همًا ولا بكاءً، وليس كباقي الأيام وصلنا إلى مدخل الغابة، فاقتحمناها عليهم غافلين وهم نائمون، فجعلناهم حصباءً كأن لم يكن بالأمس، حتى دخلت باب القصر فإذا بي طلق جالسًا مبتسمًا.
- أهلاً، يا إمعة، كيف حالك؟
- قد فعلتها يا معتر.

• أتظن أنك ستختبي من هذا اليوم؟ فأنت أضعف من أن أخوض حربًا معك في الساحة المعركة.

• قد وصلت يا معتر إلى شيء لم يصل إليه والداك.

• وسأصل إلى شيء آخر أيضًا لم تصل إليه أنت، وهو قتل ملك فوق عرشه وبين جنوده.

• قد فعلتها يا معتر.

• أحس أنني قد سقيت قلبًا بعد عطش. بحثت عن حارس الغابة فقد وعدته بوعيد، ولا بد لي أن أفي به بالوعد، صلبوه وحرقوه حيًا، فكل من لا يرحم لا يُرحم. ذهبت أبحث عن مرام التي كانت ضائعة في قلبي وفكري دون أن تخرجه. تقدمت إلى جزء الغابة، فإذا بفتاة جالسة قرب قبر وكأنها مغى عليها. وقفت جانبا أراقب وجهها الذي اكتمل كاكتمال القمر، الليلة. اكتماله كانت البراءة والحزن والبكاء والكآبة وتعب سنين يتصارعان على وجهها. حملتها إلى أبيها جلال، فنصدم من شدي الهول والفرح كاد أن يفقد وعيه. ووضعناها على أريكة لتكمل نومها بعد مشقة السنين. استأذنت في الرحيل.

• وطلع فجر ليرد كل غائب إلى غائبه وحاضره إلى مستقبله، ليرجع الشغف الذي قد فقد.

• ذهبت إلى مسطرونناديته إلى جانب من لأرض أركن له فيها دمعة سنين. كانت وسن بعد ما أوصيت طائري على معرفة مكانها وأن يجعلني ألقاها حتى أصلح بينها وبين مسطر. فكل جزاء بمثله يُرد. وأخيرًا، فقيد شغفه وأهله، من هنا يا أربع، قد انتهت تلك الأيام والأحزان والألم الممطرة.

- أتعرف يا أربع؟ هذه لأسرة.
- لا، ألا تخبرني؟
- والديك وضعاك على باب المعلم الشوان حتى يحفظاك بعدما كانا يهددان بالقتل. فخافا عليك ولم ينتهي ذلك إلا عندما كبرا وفقدا بصرهما فلم يعينهما ذلك على وصولك.
- أظن أني أشم رائحة ولدي وأسمع صوته وأحس بأنه قريب مني.
- وأنا أيضًا يا عزيزتي... أربع، أربع.
- نعم يا والدي، لماذا تركتmani كل هذه السنين؟
- يا ولدي...

• وبعد أن أخذ كل ذي حق حقه، قد حان لي الآن أن أزور جدي وأرجع إلى بيتي وأستريح من تعب السنين. وصلت إلى جدران البيت، أتذكر تلك اللحظات التي مررت بها وأقول الحمد لله الذي أخرجني مما كنت فيه. تكأت على أريكة تحمل ذكريات السنين، فغشيني النوم. لم أفق إلا على أصوات الضحك والتبسم، فإذا بمرام تجلس عند رأسي مبتسمة.

- ألا تنتظر من يشكرك؟
- وعلى ماذا أشكركيا مرام؟
- كنت دائمًا أراك في أحلامي وأشتاق إلى لقاءك وذلك اليوم الذي سيجمعنا.
- يعني أن لدينا اشتياقًا مشتركًا بيننا؟
- وهل كنت أيضًا تشتاق إلي؟

- مميم، نوعاً ما.
- كنت أسمع قصائدك لتي تنشده عند البحيرة، فأتمنى أن لو كنت أستطيع الذهاب إليك لأخفف عنك وأخفف عني.
- أنسي يا مرام تلك الأيام ولنعيش أياماً جديدة وسعيدة، فقد أمطرت أرضنا بعد جفافها.
- مبتسمة، وأين هو خيلي، أم تريدينني أيضاً أن أنساه؟
- كنت دائماً أنظر إليه و أقول له: قد كنت تحمل فتاة عزيزة على قلبي مع أني لم أراها.
- هل تحب أن نتمشى إلى البحيرة؟
- نعم، فقد كنت أذهب إليها في هذا الوقت.

"الطبعة الأولى ستكون متوفرة قريباً في جميع أنحاء العالم."

<https://www.youtube.com/@user-gh2tv1im5z>

استودعتکم اللہ.